

الموت المقنَّع

طبعة جديدة منقّحة ومصحّحة


حصريا في مجموعة
اجاثا كريستي

أغاثا كريستي

الموتُ المقنَّع

الفصل الأول

دخل ماسترز، مفتش الشرطة السري، مكتب مدير المباحث الجنائية في ذلك اليوم من صيف عام ١٩٣٤. وما أن استقر في المقعد حتى وضع أمام المدير ملف الجرائم التي حيرت رجال الشرطة الإنجليز حيناً وقال بغير مقدمات: هل بعثت في طلبي يا سيدي؟

كان مدير المباحث قصير القامة، وديع المظهر، أشيب الشعر، وقد رد على سؤال المفتش بإيماءة من رأسه دون أن يرفع غليونه من فمه. فاستطرد المفتش البدين الأصلع قائلاً: بخصوص روجر بولاي؟

- نعم.

فقال ماسترز وقد اشتد احمرار وجهه رغماً عنه: الحقيقة أننا نواجه مجرماً خطيراً.

فرفع مدير المباحث غليونه وتنحنح قائلاً: لن يكون بإمكاننا أن نمسه بشيء ما لم يقم الدليل على أنه هو قاتل أولئك النساء الثلاث.

- إذن؟

- ماذا فعل بالجثث؟ أين هو الدليل على القتل العملي؟

خيم الصمت برهة، ثم وقف المفتش ماسترز عندما اشتدت حرارة الغرفة عليه. وما لبث مدير المباحث أن أردف قائلاً (وهو يلمس المفكرة الموضوعة أمامه): إن أسماء الفيلات الثلاث المدونة هنا تثبت أن روجر بولاي قد أقام فيها، وقد ظل رجالنا يحفرون الأرض حولها طيلة شهور وينقبون وينبشون، ولكن دون نتيجة!

- هذا معروف لي يا سيدي، ولكن...

- لم نجد حتى ولا بقعة دم أو أقل دليل يثبت وقوع الجريمة.

ثم رفع المدير عينيه الباهتتين ومضى يقول: لنفرض أن بولاي ادعى أن النساء الثلاث ما زلن على قيد الحياة، وأنهن قد تركنه بمحض اختيارهن.

- لكن إذا لم يظهرن للناس؟

- ليس بولاي مطالباً بإثبات وجود النساء على قيد الحياة. علينا نحن إثبات موتهن إذا استطعنا.

- ولكنه تزوجهن يا سيدي، وبوسعنا محاكمته بتهمة تعدد الزيجات.

- وما هي أقصى عقوبة؟ خمس سنوات؟! لا يا ماسترز، ليس هذا ما تريده للسيد بولاي. ثم أين هو الآن؟ هل اقتفيت أثره؟

كان هذا السؤال هو أشد ما يضايق مفتش الشرطة السري،

وقد شعر بالحرارة تخنقه، وقال أخيراً: لا يا سيدي، لم أقتفِ آثاره. وإن أردت رأيي صريحاً قلت إن الأمل في النجاح ضعيف ما دامت أوصافه غير معروفة لنا بشكل قاطع.

ولكن مدير المباحث باغت ماسترز قائلاً: أعتقد أنني أعرف مكانه الآن، ولهذا استدعيتك. إنه قد كرر فعلته مجدداً.

ساد الصمت برهة، ثم قال ماسترز: تعني أنه قتل امرأة أخرى؟

- هذا ما أخشاه. نعم!

- وأين؟

- قرب توركاي، وقد اتصل بنا رئيس نقطة الشرطة تليفونياً منذ نحو عشر دقائق. إن الفاعل هو بولاي ما في ذلك شك، وقد تخلص من الجثة مرة أخرى.

وأعقب ذلك بيان الحلقة الأخيرة في سلسلة الأحداث المروعة التي استطاع فيها المجرم أن يفلت من العدالة مرة أخرى بهدوء أعصابه البالغ. وتفصيل ذلك أن السيد والسيدة بندكت استأجرا في أواخر شهر يونيو فيلا مفروشة قرب مصيف توركاي، وكان يبدو أنهما حديثا العهد بالزواج. وكانت العروس تتحاشى الظهور أمام الناس، وكل ما عرف عنها أنها كانت مشغوفة بلبس الحلي والمجوهرات.

ولم يكن لدى الشرطة ما يدعو إلى الاشتباه في أمر القادمين لولا أن أحد رجال الشرطة استرعى نظره أن اسم الشخص هو

بندكت، وبندكت هو الاسم الذي انتحله بولاي في إحدى الجرائم، فنقل هذا الاشتباه إلى رئيسه وانتهى الأمر بأن أصدر مفتش الشرطة أمراً بمراقبة الفيلا ليلاً مراقبة سرية.

وقد شوهدت السيدة بندكت لآخر مرة عصر اليوم السادس من شهر يوليو عام ١٩٣٤ وهي تتناول الشاي مع زوجها في حديقة صغيرة تظللها أشجار التفاح. وفي الصباح المبكر من يوم ٧ يوليو فُتح باب الفيلا الأمامي وخرج روجر بولاي (المتنكر باسم بندكت) وتقدم وهو يرتدي قبعة ومعطفاً واقياً -رغم صفاء الطقس- إلى حيث كان الشرطي هاريس مختبئاً خلف الأشجار بعد مراقبة دامت طوال الليل، وابتدر الشرطي بتحية الصباح، ثم أخبره أنه ذاهب إلى أقرب محل لبيع السجاير والصحف.

وسار في طريقه، لكنه لم يذهب إلى ذلك المحل، بل استقل قطار الساعة التاسعة والربع إلى لندن واختفى في غمار الملايين. وبعد ساعتين عثرت الشرطة في الفيلا الساكنة على بعض الملابس... ملابسه وملابسها التي اضطر بولاي أن يتركها خلفه. كما عثروا على بعض أدوات الزينة وقد رفعت عنها بصمات الأصابع بعناية مثل غيرها من الأشياء الأخرى. لكنهم لم يعثروا على أي مجوهرات ولم يعثروا على الزوجة!

* * *

انقضت عدة أيام والمفتش ماسترز (الذي تولى تحقيق القضية) دائب في البحث والتحري، إلى أن وفق أخيراً بالعثور على شاهد يمكن لأول مرة أن يجذب بولاي إلى ظل المشنقة.

وتفصيل ذلك أنه كان يوجد بشارع منزيس في توركاي مكتب صغير للكتابة على الآلة تملكه الآنسة ملدريد ليونز، وفي صباح يوم ٦ يوليو اتصل بولاي بهذا المكتب من كشك التليفون العمومي (لعدم وجود تليفون في الفيلا الصغيرة) وسأل الآنسة ليونز إن كان يمكنها الحضور لكتابة بعض الرسائل.

وقفت الآنسة ليونز بعد ذلك في مكتبها الصغير منزعجة بين رجال الشرطة وراحت تسرد معلوماتها قائلة: لقد ذهبت إليه راكبة دراجتي عصر ذلك اليوم، فأملى عليّ ست رسائل وحملتها إلى المكتب لكتابتها على الآلة، وكانت كلها رسائل أعمال، لا، لم أسجل عناوين الرسائل.

- ألا تتذكرين مضمون الرسائل؟

- لا، كانت مجرد رسائل أعمال.

- استمري يا آنسة.

- كان جلوسنا في الفيلا في غرفة الجلوس، وكانت ستائر النوافذ شبه مسدلة، وكان يجلس في الظل. وكانت السيدة بندكت لا تنقطع عن الدخول والخروج لتقبيله. كان الموقف مربكاً محرجاً في الواقع، ولما هممت بالانصراف طلب مني أن أترك الرسائل مفتوحة لكي يتولى إرسالها بنفسه بالبريد.

وبعد ذلك نقد بولاي الكاتبة أجرها، ورقة مالية رديئة من فئة عشرة شلنات. لكن تأثير هذه الورقة كان له وقع سيئ في نفس الفتاة الحمراء الشعر التي وقفت أمام آلتها الكاتبة تشد مفاتيحها، وكأنما تستمد منها أسباب التجلد والشجاعة، إذ

راحت تقول: لقد أغضبني هذا العمل. نعم، فأنا لم أكتشف رداءة الورقة المالية إلاّ بعد أن ذهبت إلى باراسبلاناد في التاسعة والنصف من تلك الليلة، وعند ذلك تملكني الغضب وركبت دراجتي على الفور لكي أذهب إليه وأخبره برأيي فيما فعل.

كانت الليلة حارة وضوء القمر الساطع يغمر طرقات البلدة، وما إن وصلت الآنسة ليونز فوق دراجتها إلى جوار الفيلا حتى وجدت شجاعتها قد تبخرت. ووجدت الفتاة حلاً وسطاً لموقفها الغريب، هو أن تسير في الممشى (بعد أن تركت دراجتها عند البوابة) وأن تضغط على الجرس الكهربائي، ولكنها لم تجد الجواب.

ولم يكن في هذا ما يدعو إلى الدهشة لأن الجرس كان معطلاً دائماً، ولكن الآنسة ليونز تملكها الغضب مجدداً عندما لمحت ضوءاً ينبعث من خلال ستائر غير محكمة في نافذة إلى يمين الباب، وكان الضوء صادراً من غرفة الجلوس. ولم تتمالك ملدريد ليونز -بدافع الغضب والفضول الطبيعي في مثل هذا الموقف- أن سارت على أصابع قدميها وأخذت تنظر إلى الداخل.

وعند ذلك جمدت الفتاة مكانها مشلولة. لم يكن يضيء الغرفة سوى مصباح زيتي مظلل بغطاء أصفر مدلى من السقف، وكان ضوء المصباح خافتاً، وفوق فراش بجوار أحد الجدران تمدد جثمان السيدة بندكت، وكانت ملابسها مشوشة وجوربها ممزقاً وفردة من حذائها على الأرض، أما هي فكانت جثة هامدة. ولا شك أنها لقيت حتفها خنقاً، إذ كان وجهها المنتفخ محتقناً ونوع من البقع حول عنقها، وفي وسط الغرفة وقف بولاي يتنفس بجهد ويشعل سيجارة.

لقد ذعرت الآنسة ليونز وتحولت كالسائر في نومه، وعادت أدراجها بهدوء إلى الدراجة. وسارت أول الأمر الهوينا ولم تطلق العنان لقدميها إلاّ بعد أن ابتعدت عن الفيلا بمسافة كافية، وكانت مصممة ألا تبوح بشيء مما رأت لئلا يزج بها في الكارثة، لولا أن أتى الشرطيان المعهود إليهما بمراقبة الفيلا لسؤالها عن سبب ذهابها إلى هناك تلك الليلة.

ولم تتمالك ملدريد ليونز بعد هذه الاعترافات أن انخرطت في نوبة من البكاء والهستيريا، حتى راح المفتش ماسترز يربت بيده على منكبها مسرياً ملاطفاً. وإن كان هذا لم يمنعه من أن يمسك التليفون باليد الأخرى ويطلب من موظفة السنترال توصيله بإدارة المباحث الجنائية في لندن، حيث أخذ يخاطب المدير قائلاً: لقد توصلنا إليه! أمامنا الدليل الآن على وقوع القتل. إن هذه الشاهدة هي سبيلنا إليه.

فقال المدير: أواثق أنت مما تقول؟ علينا أن نقبض عليه أولاً، فهل ترى مصاعب في هذا الصدد؟

– لا يا سيدي. كل ما يقتضينا الأمر هو أن ندع جانباً السرية التي التزمناها حتى الآن وأن يصدر أمر عام بالجد في اعتقاله.

– ألا تحب أن تستشير صديقك السير هنري مريفال، العالم الجنائي، في الموضوع؟

– لا لزوم لمضايقة الرجل العجوز في هذا. كل ما أريده هو صدور الأمر بالعمل. شكراً لك يا سيدي، وثق أننا سنقتنص

هذا الثعلب في خلال أسبوعين مهما يكن مكانه.

* * *

لكن ماسترز كان مخطئاً. لقد وقعت هذه الجرائم منذ أحد عشر عاماً!

وأثناء ذلك قامت الحرب العالمية الثانية بما اقترن بها من الموت والخراب والدمار، لكنهم لم يوفقوا إلى اعتقال روجر بولاي، فإن ثقته بنفسه لم تفارقه لحظة.

وما كان لهم أن يعتقلوه الآن بعد كل ذلك الزمن؛ فهو الآن في أمان.

* * *

الفصل الثاني

كانت ليلة في مستهل شهر سبتمبر وقد أضيئت مصابيح الشوارع في لندن من جديد إيذاناً بانتهاء الحرب العالمية الثانية. وسار المحامي الشاب دنيس فوستر بخفة ونشاط في شارع تشيرنج كروس ووجهته مسرح غرناطة تلبية لدعوة صديقته الآنسة بيريل وست مديرة الإخراج، لكي ينتقلا بعد ذلك إلى أحد المطاعم لتناول طعام العشاء.

ووجد بيريل تنتظره لدى باب المسرح في شيء من اللهفة والقلق. وكانت زرقاء العينين، ناصعة البشرة، تنم حركات يديها وعينيها وثنيات جسدها النحيل عن حيوية فياضة. وما كادت تبصر دنيس حتى هتفت مرحبة به وقالت: لقد دعوتك لحاجتي إلى مساعدتك؛ أريد أن تكلم بروس لأنه يقدّر كلامك.

- حسناً، ما هي المشكلة؟

فترددت بيريل برهة، ثم أجابت: تعلم طبعاً أن آخر موعد لتمثيل المسرحية الحالية هو غداً، وسوف أسافر إلى الولايات المتحدة مساء غد للإشراف على حفلة عرض أولي في برودواي، ولكني لن أغيب أكثر من ثلاثة أسابيع. وينوي بروس أن يسافر

في إجازة طويلة إلى أحد المصايف النائية، ولذلك أرجو أن تكلمه الآن قبل فوات الأوان. إن المسألة متعلقة بالمسرحية الجديدة التي يعتزم تمثيلها بعد فترة الراحة والاستجمام.

ونظرت إلى ساعة يدها، ثم أردفت فجأة: سينزل الستار بعد عشر دقائق. هلا دخلنا المسرح؟

وهبطا درجات حديدية مكسوة باللباد أفضت بهما إلى الجانب الخلفي للمسرح، حيث كان بروس رانسوم منهمكاً في أداء دوره بتلك الإجادة المأثورة عنه. لكن دنيس التفت إلى الفتاة وقال همساً: لقد كنت تتكلمين يا بيريل عن تلك المسرحية الجديدة التي ينوي بروس تمثيلها؟

- يعلم الله أني لا أمانع في أن يمثل بروس دور القاتل.

- دور القاتل؟

- نعم، والحقيقة أن مثل هذا الدور الجديد فيه تغيير وتجديد بالنسبة للأدوار الغرامية التي اعتاد أن يمثلها.

- وأنت لا تحبين فكرة المسرحية الجديدة؟

- بالعكس يا دنيس، إن فكرتها رائعة، ولهذا السبب أحب أن...

وارتفعت في هذه اللحظة همسات الاستنكار من بين صفوف المشاهدين احتجاجاً على التشويش المنبعث من حديث الاثنين، فانسحبا في سكون إلى الممشى الخلفي. وقادته بيريل إلى غرفة بروس رانسوم التي كانت خاوية إلاّ من خادمه توبي

الذي كان خارجاً لإعداد كأس من الشراب المنعش للممثل الكبير.

وقالت بيريل لصديقها: اجلس يا دنيس، أريد أن تكون مستعداً لمساندتي في المهمة التي أمامنا.

وما كاد دنيس يستقر في المقعد الوثير حتى سألها: كنت تتكلمين عن قاتل، أهي مسرحية بوليسية؟

- لا، لا. إنها مبنية على قضية روجر بولاي الواقعية. هل سمعت عن روجر بولاي؟

- لا أظنك تقصدين أن بروس سيمثل دور بولاي؟

- بل هي الحقيقة، ولم لا؟

- لا شيء، سوى أنها قضية بشعة. تعلمين طبعاً يا بيريل أن بولاي لا يزال على قيد الحياة في الغالب.

قالت بيريل: وأن الشرطة ما تزال تبحث عنه وسيقدم عنقه إلى المشنقة حالما يُعثر عليه؟ لا تخف؛ إنه لن يرفع ضدنا قضية قذف!

- طبعاً لا، وكيف تحلون لغز المسرحية؟

- أي لغز؟

قال دنيس: يا عزيزتي بيريل! إن روجر بولاي قد قتل أربع نساء على الأقل.

- فظيع! إن جمهور المسرح سوف يلتهم مثل هذه المسرحية التهاماً.

لم يعبأ دنيس بكلامها، بل استرسل قائلاً: إن بولاي تخصص في قتل النساء اللاتي لا أقارب لهن. كانت ضحيته الأولى ابنة قسيس، والثانية هاوية موسيقى، والثالثة قارئة كف، والرابعة... أما هذه فلم تستطع الشرطة أن تعرف شخصيتها ولا أي شيء عنها.

فسألته بيريل: دنيس! كيف تسنى لك بالله أن تعرف كل هذا؟

- من المصادفات. إن مفتش بوليس اسكوتلانديارد الذي عهد إليه بهذه القضية صديق لي. والمشكلة يا بيريل هي أن بولاي قد قتل أولئك النساء وتخلص من الجثث بطريقة تبدو وكأنها السحر بعينه. ثم إن صديقي، المفتش ماسترز، لا يريد أن يقول كل شيء عن الجريمة الأخيرة، وكل ما فهمته هو أن هناك «شاهداً» رأى بعينه الضحية الرابعة عقب مصرعها.

فقالت بيريل في شيء من القلق: أنا لم أكن أعرف هذه المعلومات، ومع ذلك فهذا شيء لا أهمية له. لو أن بروس قَبِل فقط تغيير تلك النهاية المستحيلة للمسرحية لتيسر لي إخراجها بصورة طيبة. إن كل ما يهم دنيس هو شخصية بولاي نفسه، وهذا هو أهم ما يشغلني في الواقع. ترى ما هو كنه ذلك الرجل حقاً؟

- لا شك أنه مخلوق شاذ غير طبيعي.

فقالت بيريل بإصرار: لن يكون لي ضلع في هذه المسرحية إذا أصر بروس على إبقاء تلك الخاتمة المروعة. ولكنني أريد أن

أرى بولاي... أريد أن أفهمه! قلت لك يا دنيس أنه لا يهمني كيف تخلص من جثث ضحاياه، وما زلت عند رأيي هذا. لأن هيكل المسرحية ليس ما حدث وهو يرتكب جرائمه، بل ما حدث له بعد ذلك.

* * *

الفصل الثالث

في هذه اللحظة ارتفع عن بعد صوت تصفيق متصل تردد صداه في أروقة المسرح وكان إيذاناً بإنزال الستار، ولكن الاثنين لم يلقيا بالهما إلى ذلك.

قال دنيس: وبهذه المناسبة، من هو مؤلف المسرحية؟

– إن المؤلف شخص لم أسمع باسمه قط، فالمسرحية جاءت إلى بروس من حيث لا يحتسب.

– ماذا تعنين؟

– الحقيقة إن مئات من الناس يرسلون إلى بروس مسرحيات يكتبونها، وهو عادة يستأجر من يقرأ هذه المسرحيات ويتصرف فيها. ولكنه يخرج على هذه القاعدة أحياناً وينتقي إحداها ليطلع عليها بنفسه، وهذا ما حدث في هذه المناسبة. وكانت النتيجة أنه اتصل بي تليفونياً في الساعة الواحدة صباحاً وأخبرني أنه لقي المسرحية المنشودة.

– والنتيجة؟

– كتب بروس للمؤلف... أو هذا ما أرجو أن يكون قد

فعله لأنه مهمل كثيراً من هذه الناحية، ولكن المسرحية تتضمن فكرة مروعة رغم كل شيء.

- أهلاً بك يا دنيس!

كان المتكلم هو بروس رانسوم الذي وقف بباب الغرفة.

كان بروس رانسوم فارع العود، عريض المنكبين، مستدير الوجه، بارز عظام الوجنتين، ناعم النظرات، منفرج الفم عن ابتسامة وانية. وقد وقف بروس برهة في مدخل الغرفة يستحث خادمه الخاص لإحضار الشراب، ثم قال للجالسين في الغرفة وهو يفرك كفيه: أرجو أن تكونوا قد حجزتم لنا مائدة في المطعم للعشاء؟ بديع، بوسعي أن آكل مائدة كاملة! لن أؤخركم أكثر من خمس دقائق.

وشرع يخلع زيه التمثيلي بمساعدة الخادم، ثم جلس إلى مائدة الزينة وصب لنفسه كأساً من الشراب. وبعد أن رشف جرعة دسّ يده في إناء المعجون لإزالة الأصباغ عن وجهه، وقالت بيريل أخيراً تخاطب الممثل بعد طول صمت: لقد استدعيت دنيس لكي يتمكن من إقناعك إذا عجزت أنا عن ذلك.

- اسمع يا بروس، لا بد أن تغير نهاية هذه المسرحية الجديدة.

- هل لا بد من العودة إلى هذا الموضوع يا بيريل؟

قالت بيريل: نعم، وأنا أحتكم إلى دنيس.

قال دنيس راضياً وقد طلب منه أن يقوم بدور الحكم:

لكنك نسيت إني لم أقف على تفاصيل المسرحية حتى الآن.

فقالت بيريل: سأحكيها لك بعد أن يرتكب بولاي جريمته الرابعة...

وهنا قاطعها بروس رانسوم قائلاً: مهلاً، هل سمع دنيس شيئاً عن هذا المخلوق؟

قالت بيريل: إنه يعرف كل شيء عن الموضوع، بل هو يعرف مفتش الشرطة السري الذي...

فاستطرد الممثل يقول مركزاً نظراته على المرآة، وكأنه لم يسمع كلام الفتاة: إن بولاي شخصية بديعة. ثم هناك تلك المرأة التي راحت تنظر خلسة من خلال ستائر النافذة، حيث شاهدت الضحية مخنوقة فوق الفراش بينما أخذ بولاي يشعل سيجارته تحت ضوء المصباح! هذه هي الحبكة المسرحية التي يمكن أن نعول عليها.

ولكن دنيس استحث الفتاة على الكلام قائلاً: احكي يا بيريل.

فتابعت بيريل قصتها: لا بأس، بعد أن يرتكب بولاي جريمته الرابعة يتملكه الفزع ويميل إلى التوبة ويحاول أن يسلك سواء السبيل. ولهذا الغرض يذهب إلى قرية هادئة وينزل في فندق ريفي، وهناك يقع في الحب. وأنا أعني بهذا أنه يحب حباً حقيقياً هذه المرة، وتكون حبيبته فتاة شقراء ساذجة فيها كل مقومات الصلاح والبراءة، وأبواها من أعيان القرية. وتسير الأحداث كلها في المسرحية كما تسير في أية مسرحية فكاهية غرامية معتادة، ثم لا يلبث المشاهد أن يحس من بعض الفلتات

هنا وهناك أن ثمة شيئاً غير عادي. وإذن قصة الجرائم الماضية تفوح رائحتها، ويساعد على نشرها وإذاعتها فضولية القرية. وشيئاً فشيئاً يتبدى أن الغريب الوافد على القرية (ذلك الرجل السمح الوديع) هو في الواقع قاتل لا يمكن أن يصلح ويتوب إلاّ كما تتوب القطة عن أكل الفئران. وأول شخص في القرية يفطن إلى الحقيقة هو والد الفتاة، أما الفتاة فهي ترفض أن تصدق طبعاً (وإن رأينا بولاي يكاد يفقد صوابه مرة ويوشك أن يقتلها). وأشهد للمؤلف بأنه حبك الأزمة وأثار جواً مشحوناً بالفزع، بحيث إذا أجاد الممثل هذا الدور جعل المتفرجين يكادون يصرخون من الرعب. فإذا كان الفصل الثالث استطاع بولاي إقناع الفتاة بالهرب معه، ولكن والد الفتاة يفاجئهما، ويكون مشهداً عاصفاً يثور فيه الوالد ويحاول إطلاق النار على بولاي. وعند ذلك... أواه!

وبسطت بيريل يديها بحركة يائسة وأردفت بلهجة مؤثرة: ثم يتبين في النهاية أن القاتل المزعوم ليس بولاي ولا يمت له بأدنى صلة.

- ليس بولاي؟!

- أبداً، ولكنه مؤلف روائي شهير يبحث عن مادة لكتابه، فزعم أنه بولاي ليعرف ردة الفعل في النفوس. والآن، أممكن أن يقع شيء كهذا؟

تناول بروس قطعة قماش أخذ يزيل بها المعجون عن وجهه وقال: لا بد أن تكون للمسرحية نهاية سعيدة.

- أخالفك في هذا الرأي يا بروس.

- وما السبب؟

قالت بيريل: صبراً يا بروس. إن الفتاة ترتمي باكية بين ذراعيه، والوالد يصافحه والدموع تترقرق في عينيه ويعلن أنه قد تجاوز وصفح، ويبارك الاثنين، وتهرول الأم بدورها لكي تفعل مثل هذا. فقل لي بربك يا بروس: هل يمكن أن يحدث شيء كهذا في عالم الواقع؟

سألها بروس: ولم لا؟ وما الذي تنتظرين أن يحدث؟

فأجابت بيريل بإيجاز: إن والد الفتاة ما كان ليتردد في إطلاق النار عليه، والفتاة ما كانت لتكلمه قط بعد ذلك، والأسرة كانت ستسعى لطرده من القرية كلها! وإلاّ، فهل يقبل أي إنسان أن يكون مجرد أداة للتجارب في عملية كهذه؟

- نعم، هناك من يقبل هذا ويغتفره إزاء مثل هذا المؤلف القصصي الشهير.

ثم نهض بروس فجأة وألقى قطعة القماش من يده، بيد أنه لم يبادر فتاته بالغضب بل قال لها بابتسامته الجذابة: لا داعي للغضب يا فتاتي، أعترف أن في المسرحية أخطاء.

- نعم، ومن الجلي أن المؤلف يعرف ذلك!

فقال وقد لمعت عيناه ببريق خاطف: أحقاً؟ وما الذي يجعلك تظنين ذلك؟

- إن بعض صفحات المسرحية مكتوبة على آلة كاتبة مختلفة، وقد تكرر هذا في الفصل الأخير. بإمكاني أن أدلك على

المواضع التي كان فيها متردداً لم يستقر عند فكرة معينة. ثم أين نسخة المسرحية يا بروس؟

- لقد أرسلتها إلى مكتب إيتلي ويتمان لنسخ عدة صور، وأخشى أن هذه العملية سوف تستغرق بعض الوقت.

- هل كتبت إلى مؤلف المسرحية يا بروس؟

- نعم، طبعاً، لكني لم أتلق منه أي رد.

- منذ ثلاثة أسابيع من دون أن تتلقى أي رد؟

- هو ذلك.

- لكن لا يمكن يا بروس أن تفكر في إخراج المسرحية قبل الحصول على موافقة المؤلف وتوقيع العقد اللازم!

فهز بروس رأسه ثم قال ضاحكاً: ومن قال إن إخراجها سيتم يا فتاتي؟ إنني متعب إلى أقصى حد وأحتاج إلى راحة طويلة. سأذهب أولاً في إجازة طويلة، ثم... يا إلهي! ماذا دهاك الآن يا فتاتي؟

ذلك أن بيريل بدت أمامه منفرجة الثغر لامعة العينين كمن هبط عليها الإلهام فجأة، وهتفت وهي تومئ إليه بإصبعها: اسمع يا بروس، لماذا لا تكون أنت روجر بولاي؟

- وكيف ذلك؟

سكتت الفتاة لبعض الوقت، وفي النهاية أجابت قائلة: لقد قلتُ إن نهاية المسرحية واهية، وسأبرهن لك على ذلك. نعم، سأبرهن لك!

الفصل الرابع

خيم صمت طويل لم يستطع دنيس خلاله أن ينبس بكلمة، أما بروس فقد قال في النهاية وهو يحملق في الفتاة مشدوهاً: لست أفهم ما ترمين إليه.

– من المقرر أن تبدأ إجازتك يوم السبت، بعد افتتاح الموسم، وستذهب إلى مصيف صغير على الساحل الشرقي. أليس كذلك؟

– هو ما تقولين.

– بل إنك قد حجزت فعلاً مكاناً لنزولك في الفندق تحت اسم مستعار؟

قال بروس: نعم، إني... رباه! تقصدين؟

أومأت بيريل برأسها إيجاباً وراحت تقول: إنني أتحداك أن تفعل ما سوف يفعله بطل المسرحية. إنه مؤلف روائي شهير، وأنت ممثل شهير. ولكن الفكرة ستبقى واحدة، أرأيت؟

– نعم، رأيت.

– اذهب إلى ذلك المكان، ما هو اسمه؟

– أولد بريدج، في مقاطعة سفولك.

- اذهب إلى هناك واستقر في الفندق، ثم ابدأ بعد ذلك في إلقاء التلميحات وإثارة الشبهات. اتبع نص المسرحية، اعمل شيئاً فشيئاً على تسميم جو القرية بفكرة أنك أنت روجر بولاي الحقيقي وقد عدت للانقضاض من جديد. وفي أثناء ذلك تحبب إلى فتاة من أهل القرية، ولن يكون شيء كهذا بالأمر العسير عليك، أليس كذلك؟ والأفضل أن تكون الفتاة ابنة شخصية بارزة أو معروفة في القرية، وعندما يبلغ الارتياح من نفوس الجميع مداه... كم تقدر إنك ستبقى في أولد بريدج؟

أجاب بروس بلهجة آلية: شهر، إنني مرتبط بموعد إذاعي في أكتوبر، ولكن بإمكاني أن أبقى هناك باقي الفترة.

- لا بأس، وأنا سأعود من رحلتي إلى أمريكا بعد ثلاثة أسابيع. وبإمكانك في خلال هذه المدة أن تصنع المستحيل إذا أجدت تمثيل دورك، وفي النهاية تلقي قنبلتك على نحو ما هو وارد في الفصل الثالث من المسرحية. قل لهم إنك لست القاتل المرعب، بل بروس رانسوم الممثل المحبوب يستمد دوره من صميم الواقع، ثم انظر بعد ذلك ماذا يقولون.

ران صمت طويل، وأخيراً غمغم بروس قائلاً: إن شيئاً كهذا لم يخطر ببالي، لكن لنفرض أن أحداً عرفني؟

- هذا غير محتمل يا بروس. إن شكلك يبدو مختلفاً وأنت بعيد عن خشبة المسرح، وقد عرفتك تكره العمل في السينما، والسينما وحدها هي التي تجعل شكل الإنسان معروفاً في مثل قرية بمقاطعة سفولك.

ولما رأت الفتاة تردد الممثل قالت لدنيس: ألا تنوي أن تتدخل في الموضوع؟

فقال دنيس وهو يتأملها بهدوء: لا، لن أتدخل. ولكن إذا أصر بروس على المضي في خطته إلى النهاية فربما كان بإمكاني أن أمد يد المساعدة.

- لا يهم ذلك في الوقت الحالي، سنناقشه فيما بعد، أما الآن فالوقت يمر ويحسن بنا أن نقصد إلى مطعم إيفي قبل أن ينفد الطعام!

وفي هذه اللحظة ذاتها سُمعت طرقة حذرة على باب الغرفة، فأسرع توبي خادم بروس إلى الباب (وكان طيلة الحديث واقفاً عن كثب يحمل ملابس مخدومه العادية وهو صابر ممتثل)، وبعد حديث خافت في الخارج عاد الخادم إلى الغرفة وبيده مظروف مقفل يحمل اسم بروس بخط دقيق واضح.

وعند ذلك نهض بروس رانسوم عن مائدة الزينة وقال في شيء من الدهشة: رسالة لي؟

- نعم يا سيدي.

فض دنيس الرسالة وقرأها مرة ثم أعاد قراءتها، وبعد ذلك ردها إلى الغلاف ووضعها في جيب ردائه ووقف لحظة متردداً. وقال أخيراً: اسمعي يا بيريل، اذهبي أنت ودنيس إلى مطعم إيفي. أنا آسف إذا كنت سأتخلف عنكما بعض الوقت، اطلبي إلى ماريو أن يبقي لي نصيبي من الطعام في حالة تأخري في الحضور. هل تفعلين هذا من أجلي يا بيريل؟

فغمغمت الفتاة بلهجة فاترة: سأفعل ما يجب.

ثم وضعت معطفها الخفيف على كتفيها بحركة تنم عن الاستياء وقالت: أنا مسافرة إلى أمريكا غداً يا بروس.

- أنا في أشد الأسف، لكن لا حيلة لي في هذا التطور، لابد لي من مقابلة شخص معين بصدد مسألة هامة. إن...

لكن بيريل استدارت نحوه بعنف وقاطعته قائلة بحدة: اذهب إلى مصيف أولد بريدج ومثل قصتك الغرامية مع الفتاة الريفية الملعونة.

وهرولت خارجة من الغرفة والدموع تترقرق في عينيها وجذبت الباب خلفها بعنف.

والواقع أن هذا المسلك العنيف من جانب بيريل كان مفاجأة لدنيس الذي لم يتمالك أن قال: ماذا حدث بالله عليكم؟!

ذلك أن دنيس كان يعرف ما هو متواتر في الدوائر المسرحية من تقارب الشعور بين الممثل الكبير ومديرة الإخراج الفنية، وبوصفه صديقاً للطرفين كان يرجو أن تتطور هذه العلاقة إلى زواج متكافئ موفق.

ولكن بروس أجاب قائلاً: أنت تعرف ولا شك طباع النساء. أسرع خلفها بربك، رافقها إلى الخارج من باب المسرح الأمامي ولا تدعها تخرج من الباب الخلفي!

- لا بأس، اعتمد عليّ.

وخرج دنيس مسرعاً في إثر الفتاة. أما بروس فقد جمد

برهة في مكانه مشبك الذراعين يحدق في الباب، وأخيراً عاد إلى الجلوس أمام مرآة الزينة وراح ينظر فيها بعينين شاردتين. وامتدت يده إلى جيبه فأخرج الرسالة وجعل يسويها ويبسط ثنياتها، وبحركة وانية أمسك قلماً أمامه وخط على الغلاف: «٧، ٤، ٢٨-٣٦». ثم كرر كتابة الأرقام كأنما يحفرها في ذهنه أو يسجل نصراً باهتدائه إليها.

وما لبث أن رد القلم إلى مكانه وأعاد الرسالة إلى جيبه، ثم التفت إلى خادمه قائلاً: توبي، أدخل السيدة.

* * *

الفصل الخامس

لم تنقض دقائق حتى قدر لدنيس فوستر أن يلتقي بالسير هنري مريفال في ظروف يؤسف لها. فقد أسرع المحامي الشاب في إثر بيريل محاولاً إبعادها عن باب المسرح الخلفي عملا برجاء بروس، ولكنها وفرت عليه هذا العناء، إذ سارت بعزم إلى الباب الأمامي وهي تتعثر في الظلام.

فلما لحق بها التفتت إليه وقالت له بأتم هدوء وقد تمالكت أعصابها وكأنها لم تنفعل منذ دقائق: ماذا كنت تقصد -يا دنيس- عندما قلت إن بإمكانك مساعدة بروس؟

فراح دنيس يقول وقد عادا إلى السير، وأشرفا على شارع تشيرنج كروس: اسمعي يا بيريل، أود أن تسمحي لي بالذهاب إلى بوليس اسكوتلانديارد لكي أذكر القصة كلها للمفتش ماسترز.

- لكن... هل يتلقاها بالارتياح؟

- أراهن على أن الأمر لن يكون كذلك. وربما توعد باتخاذ إجراءات لا حدود لها، لكن أعتقد أنني إذا ناقشت الموضوع معه فقد أوفق إلى إقناعه بالتزام الهدوء. وقد يترتب على تفاهمنا أن يبلغ ماسترز رجال الشرطة المحلية في أولد

بريدج ويقول لهم ما مؤداه: "إذا سمعتم أن روجر بولاي عاد إلى العمل فلا تكترثوا، لأنه ليس في الحقيقة سوى بروس رانسوم يمثل دور هذا السفاح". وعند ذلك يستطيع بروس أن يفعل ما يحلو له دون أي تدخل.

فلم تتمالك بيريل أن هتفت وهي تتطلع إليه متهللة الأسارير: دنيس! أتفعل هذا حقاً؟

- بوسعي أن أذهب غداً إذا أردت، يا إلهي!

هكذا هتف دنيس ووقف يحملق أمامه. فقد كان يجاور المسرح أحد محال ألعاب الحظ التي يقف فيها اللاعب أمام آلة يدير قرصها بعد وضع مبلغ صغير في ثقب الآلة، وبعد مرات تطول أو تقصر وبين صليل التروس المعدنية وبريق الأضواء الملونة يكسب أو يخسر في النهاية. وفي هذا الوكر الخافت الضوء لمح دنيس المفتش ماسترز منحنياً أمام آلة يجرب حظه ويتتبع الصليل المعدني والبريق الضوئي باهتمام.

وقد غمغم دنيس قائلاً للفتاة بعد أن بيّن لها سبب دهشته: لا أدري ماذا يفعل ماسترز هنا؟ لكن من المحتمل أنه في مهمة سرية، وربما كانت الفرصة غير ملائمة للتطفل عليه ومحادثته.

- آه! ألا يمكن أن نحاول الآن؟

- ألا تمانعين في دخول مكان كهذا؟

- هذا ما أوده، وكل ما هناك أن الفرصة لم تسمح لي من قبل للدخول مع أحد.

لم يرفع المفتش ماسترز رأسه عند اقتراب القادمين، لكن دنيس سمعه يقول بصوت خافت مزمجر: لا تكلمني يا سيدي، ويحسن أن تخرج مع السيدة من هنا فقد تقع متاعب.

فرد عليه دنيس بنفس الصوت قائلاً: حسناً، كل ما هنالك أننا أردنا أن نقول لك شيئاً عن روجر بولاي.

- انتظر لحظة!

والواقع أن اسم القاتل السفاك كان له تأثيره العميق في نفس مفتش الشرطة، كما كان دأبه دائماً طيلة أحد عشر عاماً. وهكذا استدار دنيس وواجه ماسترز الذي قال له وهو يحدجه بنظرات السخط والارتياب: إن الشخص الذي أنتظره قد لا يحضر قبل عشر دقائق أخرى، فهل عندك ما تقوله لي أو عند هذه السيدة؟

قال دنيس: معذرة، أقدم لك الآنسة بيريل وست التي تشرف على إخراج المسرحيات التي يمثلها بروس رانسوم.

- بروس رانسوم؟ المسرح المجاور؟

- هو ذاك.

- لا بأس، وهل أتيح لك -يا آنسة- أن تقابلي روجر بولاي؟

- أنا؟ كلا والله.

فتفوه ماسترز بكلمة عبرت عن خيبة أمله، ولكنه أخفى شعوره بالانهماك في إدارة آلة الحظ من جديد. وبعد فترة قال للفتاة: إذن ماذا تعرفين عن بولاي يا آنسة؟

- أخشى أن أقول إني لا أعرف عنه أكثر مما جاء في المسرحية.

- مسرحية؟ أية مسرحية يا آنسة؟

فتولى دنيس البيان قائلاً: إن شخصاً ما قد ألّف مسرحية تدور أحداثها حول حياة بولاي، وسيقوم السيد رانسوم بتمثيل الدور.

فقطب ماسترز وجهه وقال بإصرار: لكن ما أريد معرفته هو المعلومات التي قلتم إنكم تعرفونها عن بولاي. ما هي هذه المعلومات؟

أجاب دنيس: لا بأس، الحقيقة أنه ليس لدينا معلومات جديدة.

وقالت بيريل لاكتساب عطف المفتش: لا بد أنها كانت قضية متعبة شاقة، خصوصاً -كما يقول بروس- ذلك الجزء الخاص بتلك المرأة التي نظرت من خلال ستائر النافذة وشاهدت الضحية ممددة على الفراش مخنوقة، وإلى جانبها بولاي وهو يشعل سيجارته تحت المصباح.

كان لهذا الكلام تأثير صاعق في نفس مفتش الشرطة الذي قال بصوت خافت: إذن هذا ما رأته الشاهدة، أليس كذلك؟

- نعم، ألم يكن هذا ما شاهدته؟

فأجاب ماسترز وهو يومئ برأسه في مودة مريبة: بل هذا ما شاهدته فعلاً يا آنسة. ولكن، كيف تهيأ لك أن تعرفي ذلك؟

خيم صمت متصل، وما لبث المفتش أن قطعه قائلاً: الحقيقة -يا آنسة- إننا نشرنا في الصحف كل ما يتصل بأمر الجرائم الثلاث الأولى، وكان لا بد أن نفعل هذا، فقد كنا جادين في ملاحقة الجاني، وربما استطاع الجمهور أن يساعدنا. ولكن الأدلة المتصلة بالجناية الرابعة، الأدلة التي يمكن أن تؤدي إلى وضع حبل المشنقة حول رقبة بولاي، هذه الأدلة قد أبقيناها سراً.

وعند هذا الحد من الحديث نظر ماسترز بصرامة إلى الفتاة وقال لها: بغض النظر عن وجود شاهدة في الجريمة الرابعة، فقد حرصنا أشد الحرص على إخفاء هذه البيانات عن الصحافة وعدم إذاعتها خارج دوائر الشرطة، فكيف تهيأ لك -يا آنسة- أن تعرفي هذه المعلومات؟

ترددت بيريل برهة، ثم قالت في غير مواربة: لكن هذه المعلومات واردة في المسرحية!

- تقصدين المسرحية التي سيمثلها السيد رانسوم؟

- نعم، طبعاً!

- ومن هو مؤلف المسرحية يا آنسة؟

- نحن لا نعرف المؤلف شخصياً. هو شخص لا أتذكر اسمه، وقد أرسل المسرحية إلى بروس.

- لكن لديكم اسم هذا المؤلف وعنوانه؟

- نعم، أو هذا ما يعرفه بروس على الأقل.

- وأين المسرحية الآن يا آنسة؟

- تعني النسخة الأصلية؟ إنها تُنسخ الآن على الآلة الكاتبة. وأعتقد أن بروس يمكنه إحضار الأصل.

فأومأ ماسترز برأسه وقال في رقة وتلطف: لا داعي للقلق يا آنسة. أنا آسف إذا كنت قد تكلمت بلهجة حادة منذ برهة، ولعلكما لا تمانعان في تكرار هذه البيانات على مسمع من السير هنري مريفال.

فقال دنيس وهو ينظر حوله: السير هنري مريفال، العالم الجنائي الكبير؟ أهو هنا؟

أجاب ماسترز مخاطباً الفتاة: الأفضل أن يصدر الكلام منك، لا مني. إن قضية بولاي هي القضية الوحيدة التي لا أجسر على إثارتها أمام الرجل العجوز، حتى بعد مضي إحدى عشرة سنة عليها.

- وما السبب؟

- إن هذا الموضوع يثير جنونه لأنني لم أستشره في القضية. كنت أظن أنني لن أحتاج إلى معونته، وهكذا فإنه ما من مرة كنت أثير فيها القضية إلا رأيته يتطلع إلى السقف متجاهلاً متشاغلاً. والآن قد عاد إلى استئناف لعب الغولف بعد انتهاء الحرب العالمية، وأراه ما زال على سالف حاله من الإعراض والتبرم.

- وأين هو الآن؟

أجاب ماسترز وهو يتلفت حوله: لقد رأيته آخر مرة يتفرج على «الفانوس السحري».

ولما رأى علامات الدهشة، ترتسم على وجه دنيس استطرد يقول: لقد سمحت له بالمجيء إلى هنا الليلة بصحبة مدرب الغولف الاسكتلندي الذي يلازمه هذه الأيام، بشرط أن يحسن سلوكه ويكف عن الاشتباك والخصام.

- يحسن سلوكه؟ وما السبب؟

- هيا بنا إليه.

والتفت إلى جهة الباب الأمامي بنظرة لا تخلو من قلق، ثم سار بهما إلى أقصى المحل حيث صفت مجموعة من ألعاب التسلية وقف بعض البحارة عليها، وعن كثب منهم اشتبك رجلان في مناقشة حامية حول أيهما يتفوق على صاحبه في إدارة لعبة من ألعاب القوى.

فأما أحدهما فهو قصير القامة صارم النظرات يدعى دونالد ماكفرجوس مدرب الغولف، وأما الثاني فكان ضخم البنية يرتدي بذلة سوداء ويضع على عينيه نظارة سميكة، وكان يتطلع من فوق حافتها بنظرات مرعبة وقد وقف واضعاً يديه في خاصرتيه بصورة تدل على حب الشر والاستفزاز والتحدي. ولم يكن سوى السير هنري ماريفال.

والواقع أن المناقشة الحامية بين الاثنين لم تلبث أن انقلبت إلى خصام عنيف كان ضحيته آلة ألعاب القوى التي اختل ميزانها وهوت على الأرض محطمة في دوي يصم الآذان.

لكن المأساة لم تقف عند هذا الحد، فإن الحطام أصاب البحارة الواقفين عن كثب مما أثار سخطهم ودفعهم إلى الانتقام

لأنفسهم بتحطيم بعض الآلات الأخرى، حتى انقلب المكان في لحظه إلى دوامة جنونية تعالى فيها الصياح والصخب مقترناً بتحطيم الآلات وتهشيم الزجاج.

* * *

الفصل السادس

حدث كل هذا في لحظات بينما كان ماسترز يقود بيريل ودنيس إلى مكان العالم الجنائي الشهير وصاحبه مدرب الغولف الاسكتلندي. ولو اقتصر الأمر على ذلك لما تدخل ماسترز تاركاً الرجل العجوز يسوي بنفسه مشاكله الخاصة وخصوماته التي لا يفتأ يثيرها بين وقت وآخر، ولكن الموقف تكهرب فجأة بظهور رجال الشرطة الحربية لضبط الواقعة، فلم يسع ماسترز إلاّ أن يخف إلى العمل قبل تفاقم الموقف، وهكذا قاد الأربعة من باب في أقصى المحل إلى ممشى مسور، ومنه إلى حجرة خلفية لحانة كان يعرف صاحبها.

وما لبث ماسترز أن أغلق الباب بالمفتاح وتقدم إلى السير هنري مريفال الذي جلس في مقعد أمام المائدة، وقال له وقد وضع يديه في خاصرتيه: والآن؟ ألا تخجل من سلوكك؟

فراح السير هنري يقول بلهجة الشهيد المجني عليه: هلا فسرت لي يا ماسترز لماذا تحدث لي هذه الأشياء؟ إنني أسير في حياتي هادئاً مسالماً، ومع ذلك أراني في النهاية ضحية مؤامرة ملعونة! هلا فسرت لي السبب.

فأجاب ماسترز بغير تردد: سأفسر لك طبعاً. السبب هو أنك تعرّض نفسك عامداً لهذه المشاكل. ولو كنت تقنع بالجلوس في ناديك هادئاً، أو في بيتك تقرأ كتاباً مفيداً، أو تفعل شيئاً يناسب شخصاً في سنك، لما تورطت أبداً في هذه المشاكل!

ثم صعد الدم إلى وجه ماسترز وهو يسترسل قائلاً: سيكون من دواعي سروري أن تجد ببابك صباح غد واحداً من رجالنا، وأن ينتهي الأمر بحبسك ستة أسابيع دون وقف التنفيذ.

- وكيف يمكن أن يقبضوا عليّ؟

- أتسأل هذا السؤال؟ أين هي قبعتك؟

فارتفعت يدا العجوز إلى رأسه الأصلع، بينما استطرد ماسترز قائلاً: ألم تتركها خلفك في المحل؟ إن اسمك مثبت بها.

ولما تطلع العجوز إليه بنظرات الأسف النادم قال ماسترز: لن أقول إن بإمكاني تسوية هذه المسألة، ولكن ربما كان بوسعي أن أسويها... بشرط واحد، هو أن تتخلى عن عنادك في قضية بولاي.

خيم صمت طويل ما لبث العجوز أن قطعه قائلاً: أهو إكراه وتهديد؟

- كلا يا سيدي. إنه ليس كذلك، خصوصاً إذا قلت إننا إزاء دليل جديد.

وقدم إليه الشابين ثم استطرد قائلاً: والآن يا سيدي، هل قرأت ذلك الملف الضخم الذي أرسلته إليك متضمناً تفاصيل قضية روجر بولاي؟

- لا بأس، ربما كنت ألقيت عليه نظرة سطحية لأرى سبب الضجة التي أثارها رجال الشرطة حول هذا الموضوع.

- هل تذكر التفاصيل الخاصة بالشاهدة في حادث توركاي؟

- تعني الفتاة ذات الشعر الأحمر التي تدعى ملدريد ليونز؟ التي تعمل على الآلة الكاتبة ونالت أجرها ورقة رديئة من فئة عشرة شلنات، والتي نظرت من خلال ستائر النافذة ورأت أشياء كثيرة؟ لكن ما علاقة كل هذا بمهنة التمثيل؟

تولى ماسترز الإيضاح قائلاً: إن مؤلفاً مجهولاً قد كتب مسرحية عن بولاي وبعث بها إلى الممثل بروس رانسوم، وهذا المؤلف يعرف الكثير. يعرف أن «الشاهد» امرأة، ويعلم أين نظرت وماذا رأت... باختصار هو يعرف كل المعلومات التي لم تكن معروفة إلاّ لرجال الشرطة، ولك، وللشاهدة ملدريد فقط.

ومرة أخرى خيم الصمت، ولكن بصورة مختلفة. فإن الرجل العجوز قضم طرف سيجار وهمّ بإشعاله من قداحة أخرجها من جيبه، ولكنه ما كاد يسمع كلمات ماسترز الأخيرة حتى كفّ عن إشعال السيجار فجأة وشاعت في محياه نظرة غريبة، حتى بهت دنيس ولم يدرِ كيف يوائم بين الصور المتناقضة في شخصية هذا العجوز الذي يثير الشجار في المحال العامة ثم هو الآن حجر الزاوية في حل القضايا العويصة.

ولكن دنيس أيقن أن العجوز الوادع يخفي تحت إهابه دهاء الثعلب الماكر.

ومهما يكن فإن السير هنري ما لبث أن أطفأ لهب القداحة

ووضعها هي والسيجار على المائدة قائلاً: هذا شيء ظريف، وهل قبل بروس رانسوم هذه المسرحية؟

أجابت بيريل وهي تهز منكبيها: نعم، يمكن أن نقول هذا.

- وهو طبعاً قابل المؤلف؟

- كلا، ولقد كتب بروس إلى المؤلف، ولكننا لم نتلق رداً منه.

- أحقاً؟ ومتى كتب إلى المؤلف؟

- منذ ثلاثة أسابيع.

- غريب. إنني أعلم -بالتجربة- أنه متى أرسل مؤلف مجهول مسرحية وقُبلت فإن أول ما يفعله هو أن يشفعها برسالة عاجلة، وبعد ذلك يزحف بنفسه ويرابط لدى إدارة المسرح حتى يضجوا منه! وهل ينوي رانسوم إخراج هذه المسرحية؟

وهنا تدخل دنيس قائلاً: إنه سيفعل أكثر من هذا. إنه ينوي الذهاب إلى قرية أولد بريدج في سفلوك حيث ينتحل شخصية روجر بولاي ليرى كيف يكون ختام المسرحية في عالم الواقع.

ولم يتمالك مفتش الشرطة أن صاح قائلاً: ما هذا الكلام؟

فأخذ دنيس يشرح كل شيء مبيناً فكرة المسرحية والدور الذي ينوي رانسوم الاضطلاع به طبقاً لما سمعه أثناء الحديث الذي دار في غرفة رانسوم بالمسرح. وفي خلال ذلك كانت ملامح ماسترز تتغير أكثر من مرة، أما العجوز فقد ظل ساكناً،

وقال في النهاية: أهو ذاهب إذن إلى أولد بريدج؟ هل يعرف شيئاً عن هذا المكان؟ وهل ذهب إليه من قبل؟

- كلا، بتاتاً. لقد اختار هذا المكان اعتباطاً.

- إذن فسوف يتلقى هناك صدمة. إنني أعرف فتاة في ذلك المكان تطابق أوصافها ما هو معروف عن بطلة المسرحية. إنها تدعى دافني هربرت ووالدها هو...

وكفّ العجوز عن إتمام كلامه ثم أردف وهو يعبث بأصابعه: ألا ترى يا ماسترز أنه سيكون من الغرابة أن تمثّل تلك المسرحية في عالم الواقع، سطراً بسطر وحرفاً بحرف؟

فأجاب مفتش الشرطة بلهجة مستطيرة: ربما كان ما تقول يا سيدي، هذا إذا تركت شيئاً كهذا يتم.

- هل تنوي ألا تسمح بذلك؟

- وهل تظن يا سيدي أنني سأقف موقف المتفرج من مهزلة كهذه ربما تعرقل خططنا للقبض على بولاي الحقيقي؟

فقال السير هنري بهدوء: نعم، أنت لن تفعل شيئاً... إن كنت تطمع في مساعدتي لك.

جفل ماسترز وراح يحملق في وجه العجوز الذي جاهر برأيه قائلاً: دع رانسوم وشأنه، بل أكثر من هذا، أطلب إليك إبلاغ الشرطة المحلية في أولد بريدج أن يدعوه وشأنه، مفهوم؟

بيد أن ماسترز ما لبث أن غير لهجته عندما رأى العجوز يتحفز لمجابهته بجواب شديد، فتابع قائلاً: نعم، أنت أستاذنا

الكبير، لا شك في ذلك. لكن قل لي حجة معقولة.

فلم يجب العجوز، وبدا من ملامحه كأنه يحاول استعادة ذكرى أفلتت منه حتى غمغم قائلاً: روجر بولاي...

وكان سطح المائدة مبتلاً بآثار الشراب المنسكب، فما لبث السير هنري أن غمس سبابته في السائل وخط فوق المائدة الحرفين «ر. ب.»، ثم كررهما مرة أخرى وأمال رأسه لكي يتأملها من زاوية جانبية.

وأخيراً تابع قائلاً: قل لي يا ماسترز، هل خطر لك مرة كيف تبدو الأشياء مسلية إذا كتبت أسماؤها معكوسة؟

ولكن العجوز الداهية لم ينتظر الجواب، بل أفاق من تأملاته الغامضة قائلاً: هل تظن أن هذه المسرحية المؤلفة عن بولاي هي حقيقة دليل حاسم جديد؟

- أظن أنها تسوقنا إلى دليل جديد. ألست من رأيي، ما دمنا إزاء شخص يعرف الكثير؟

- حسناً، علينا أن نتأكد أولاً أنه ليس لهذا تفسيره الطبيعي البريء.

- مثل؟

- اللهم هبني صبراً! أنت تتكلم يا ماسترز وكأنه يستحيل على إنسان ما أن يثرثر! ولنأخذ مثلاً هذه الفتاة المدعوة ملدريد ليونز. هب أنها قصت مغامرتها الرهيبة على شخص ما، وبلغت القصة مسامع مؤلف طموح؟ فهل يمكنك (وأنت رجل متزوج)

أن تفكر في وسيلة لمنع امرأة من الكلام؟

- بإمكاني هذا فعلاً إذا كانت حياتي تتوقف على ذلك. إن بولاي مجرم سفاك، وإذا تهيأ له أن يعرف اسم الشاهدة التي تستطيع أن تضع حبل المشنقة حول عنقه فإن حياتها تصبح في خطر، وهذا ما أوضحناه للشاهدة.

أمن السير هنري على كلام المفتش، وإن رمقه بنظرة غريبة، بينما تابع ماسترز وهو يفتح النافذة لتجديد الهواء: ولكن المسألة الأساسية هي: ما رأيك في القضية كلها؟

- قضية بولاي بصفة عامة؟

- نعم. نحن إزاء رجل يقتل النساء ثم يجعل جثثهن تتلاشى وكأنما أصابتها قنبلة ذرية، فكيف يتأتى له ذلك؟

- سيكون من دواعي تقديري -يا ماسترز- أن ترسل إليّ ملف القضية غداً من جديد، مشفوعاً بما يتيسر لك من البيانات المفصلة عن المراحل الأولى من حياة ذلك الرجل قبل أن يتحول إلى شخصية المجرم المستهتر.

وفي هذه الأثناء فتح ماسترز النافذة ونظر منها، فما لبث أن جمد مكانه وقال على الأثر: أطفئوا النور!

والواقع أن لهجة المفتش قد أزعجتهم، حتى لم يتمالك دنيس فوستر أن أسرع إلى زر النور المجاور للباب وأطفأه، ثم تلمس طريقه إلى مكان ماسترز تتبعه بيريل وقد بلغ منهما الاضطراب مداه.

كانت هذه الحانة مقابلة للباب الخلفي لمسرح غرناطة، وما لبث ماسترز أن قال: انظروا! أتعرفون من هذه المرأة؟

كان ثمة مصباح يضيء باب المسرح الخلفي، وقد شاهدوا الباب يتحرك وظهرت من خلفه امرأة بلا قبعة ترتدي معطفاً واقياً في طريقها إلى خارج المسرح. كانت المرأة بادية الاضطراب تلتزم الحذر في حركاتها، وقد وقفت لحظة تنظر يميناً وشمالاً وكأنها غير واثقة من الطريق الذي تسلكه. وكان الضوء يبين ملامح وجهها وشعرها الأحمر، فلم تكن جميلة، وكانت عيناها تلمعان بتأثير انفعال شديد يتراوح بين الخوف والانتصار.

وأخيراً تكلم ماسترز قائلاً: هذه ملدريد ليونز! معذرة.

وهرع إلى ناحية الباب وهو يتعثر في الظلام. وأما بيريل، فقد تلمست يد دنيس وشدت عليها بقوة.

ولم تلبث المرأة ذات الشعر الأحمر أن أغلقت باب المسرح بعد نظرة سريعة خلفها، ثم وقعت أنظاره عليها وهي تبتعد مسرعة في اتجاه شارع تشيرنج كروس وهي منكسة الرأس. وهنا لم تتمالك بيريل أن زادت اقتراباً من دنيس وقد اشتد بها الاضطراب كأنما تلتمس عنده الحماية، ولما وضع ذراعه حولها ليطمئنها شعر بجسدها يرتعد!

وهمست تقول: أنا السبب في هذا، الذنب ذنبي. أما الآن فإنني خائفة. أنا خائفة، أنا خائفة!

* * *

الفصل السابع

فضّ دنيس فوستر البرقية التي وجدها في صندوق مسكنه عندما عاد إليه في مساء ذلك الخميس، الرابع من شهر أكتوبر، فكانت بالنص الآتي:

"رجعت من أميركا. حاولت الاتصال بك تليفونياً في المكتب لكني وجدتك خرجت. هل يمكنك أن تسافر معي إلى أولد بريدج غداً الجمعة بقطار الساعة الواحدة بعد الظهر، محطة ليفربول. لقد حدثت أشياء مروعة. المخلصة بيريل".

لقد مضى شهر كامل منذ تلك الليلة في الحانة دون أن يجد جديد، مما أفعم نفس الشاب بالمخاوف. ولما استوعب البرقية بدا له أول الأمر أنه لن يستطيع السفر في هذا الموعد بسبب ضغط العمل في مكتبه. على أنه، حينما عاود النظر في الموضوع، قدر أنه يستطيع الاعتماد على مساعديه في المكتب، خصوصاً إذا أنجز الأعمال المتراكمة حتى ظهر الجمعة.

والواقع أن دنيس قد بذل المستحيل حتى استطاع أن يلحق بقطار الساعة الواحدة وهو يتحرك من المحطة، وانضم إلى بيريل

في ممشى القطار وهو يلهث من فرط الجهد.

وبعد أن تبادلا التحية قال لها: أراك في صحة جيدة يابيريل. هل كانت رحلتك طيبة؟

- أنا بخير، شكراً لك.

- هل كانت حفلة الافتتاح في مسرح برودواي ناجحة؟

- إلى حد ما. لكن ليس هذا هو المهم، أريد أن أعرف ماذا حدث في غيابي يا دنيس.

- لكني لا أعرف، وكنت أحسبك تعرفين كل شيء.

- هل رأيت بروس؟

- لا.

- وما السب بالله؟

- الحقيقة أنني لم أرد أن أكون متطفلاً.

فقالت له معاتبة: أواه يا دنيس! إن بروس صديقك، ولا يمكن أن يعتبر شيئاً كهذا تطفلاً منك. على أي حال، هل رأيت السيد ماسترز مفتش الشرطة؟

- لقد تكلمت معه بالتليفون مرة.

- خيراً يا دنيس؟

- الظاهر أن السير هنري مريفال قد أعطى تعليمات مشددة للمفتش ماسترز بعدم التعرض لبروس. ومع أن المفتش أذعن

لرغبة الرجل العجوز فإنه انتحل عذراً للاتصال ببروس قبل سفره، وإن كان ماسترز لم يطلع الشرطة على شيء مع ذلك. هل تذكرين تلك الليلة الأخيرة التي أمضيناها في محل ألعاب الحظ والحانة؟

- هل أذكرها؟ كيف لا وقد اختفى بروس تلك الليلة تماماً ولم يحضر حتى للانضمام إلينا في مطعم إيفي للعشاء؟ أنا... لم أتمكن حتى من مقابلته قبل السفر للسلام والوداع.

فتابع دنيس يقول لإبعاد ذكريات تلك الليلة الكئيبة: في تلك الليلة حدثت سرقة بمكتب إتيل ويتمان للنسخ على الآلة الكاتبة بشارع بدفورد، فقد سرق مجهول النسخة الأصلية لمسرحية بولاي، وهي النسخة الوحيدة الموجودة.

- يا للمفاجأة!

- ولكن هذا الحادث أُبقي طي الكتمان الشديد بناء على أمر السير هنري، فلم يُنشر عنه شيء في الصحف، وأقسم كل من يعنيهم الأمر، حتى بروس، أن يتكتموا على الحادث.

- وماذا قال بروس عندما علم به؟

- قابله فيما يظهر بالضحك وقال إنه شيء لا أهمية له. لكن دعينا من هذا وقولي لي ما عندك. إن برقيتك لي...

فتناولت بيريل من حقيبة يدها ورقة مطوية قذفتها إليه، وكانت الكلمات الآتية مطبوعة في أعلاها: "فندق ليذربوت سيكريست - قرب أولد بريدج"، وتضمنت رسالة بخط بروس بتاريخ ٢٧ سبتمبر، هذا نصها:

"يا ملاكي، تقول برقيتك إنك ستعودين بالباخرة كوين إليزابيث نحو اليوم الرابع أو الخامس. إن كنت تحبينني عودي إليّ في هذا المكان بأسرع ما يمكنك. لا يمكنني أن أشرح لك الآن كل شيء، ولكني في ورطة، وأنا في حاجة إليك.

المخلص: بروس.

ملحوظة: أرجو أن تكون رحلتك إلى أميركا موفقة وأنا آسف لتقصيري في مراسلتك".

قالت بيريل بعد أن استردت الرسالة: إنها الرسالة الوحيدة التي كتبها إليّ منذ سفري. إن بروس ليس بالشخص الذي يثير ضجة من أجل لا شيء.

- هذا صحيح. ماذا تظنين قد حدث؟

أقفلت بيريل حقيبة يدها بحركة مشوبة بالغضب وهمّت أن ترد حين ترامى إليها صوتٌ عقد لسانها عن الكلام.

كانا واقفين في ممشى مركبة القطار بين مقصورتين، وكانت باقي المقصورات مغلقة لقلة المسافرين بالقطار، ولكن المقصورة المجاورة لمكان بيريل كان زجاجها مفتوحاً قليلاً، وانبعث منها صوت فتاة تتكلم بصوت متهدج وبلهجة العناد قائلة: أنا آسفة يا أبي. لا حيلة لي فيما تقول أنت أو تقول أمي أو يقول أي إنسان في أولد بريدج كلها. أعتقد أنني أحبه.

- اسمعي يا دافني، إن موقفك هذا مع رجل قد يكون قاتلاً...

والحق أن بيريل ودنيس لم يتمالكا أن تبادلا نظرة جزع،

ووقفا برهة جامدين. ولم تلبث بيريل أن أسرعت تتقدم خطوة لإلقاء نظرة على المقصورة، لولا أن استوقفها دنيس بالحركة والإشارة وهو يكاد يفترسها لإقدامها على هذا العمل. ولكنه استطاع هو نفسه في هذه الأثناء أن يلمح بنظرة خاطفة ثلاثة أشخاص يحتلون المقصورة.

ففي الركن المتجه إلى القاطرة جلست امرأة أنيقة تقدمت بها الأعوام ولكنها كانت محتفظة بجمالها، ولا ريب أنها الأم. وجلس بجانبها رجل وخط الشيب شعر رأسه، وقد استدار في مجلسه بحيث كان ظهره إلى ناحية الناظرين من ممشى المركبة. وأما الفتاة فقد واجهتهما واقفة وظهرها إلى الباب.

وقد استطاع دنيس وبيريل، رغم الضوء اليسير، أن يلمّا بصورة واضحة للفتاة. كانت هيئتها تنم عن طيبة المنشأ والتزام طاعة الوالدين والتحفظ، وحتى وهي واقفة موقف النضال والمقاومة لم تستطع إلاّ أن تغض نظرها وهي تدافع عن قضيتها بأشد انفعال وتأثر، وقد تورد محياها من شدة الارتباك.

وسرت أصوات الأسرة واضحة إلى آذان دنيس وبيريل وقد ارتدّا مكانهما، فكان الرجل الأشيب الشعر يقول بحمية: إن الذي يشغلني هو الرجل نفسه. ومتى كان هذا الرجل شخصاً لا غبار عليه فلا اعتراض لي على اختيارك، لكن بصدد هذا الشخص المقصود، هل تدركين أنه قد يكون قاتلاً مخبولاً تجدّ الشرطة في البحث عنه منذ أعوام؟

فردت دافني بصوت بدا محتبساً: إذن فقد رحت تصغي إلى الإشاعات المسمومة أيضاً؟

- ألم تسمعي بها أنت يا عزيزتي؟

فقالت دافني: إن ما لم أفهمه هو كيف نشأ هذا اللغط الفظيع.

- كفى يا عزيزتي، كوني عادلة معقولة.

- أنا كذلك فعلاً.

وخلال ذلك خيم الظلام وأضيئت المقصورة، وبدت أشباح السيد والسيدة هربرت ودافني مرتسمة بوضوح في الزجاج المظلم المواجه، ووجد دنيس في ملامح الفتاة المتناسقة وقوامها الفتي ما هزّ مشاعره لأول مرة على صورة غير معهودة. ولم يتمالك أن همس في أذن بيريل لمجرد الرغبة في الكلام لا أكثر: بيريل، ماذا بك؟

- هؤلاء الناس!

- ما شأنهم؟

- إنهم مطابقون في أوصافهم لما ورد في شخصيات المسرحية، ويكاد الإنسان يظن أنها كتبت عنهم خصيصاً.

- صه!

ذلك أن هربرت ما لبث أن تكلم بصوت مرتفع ليعلو صوته على هدير القطار أثناء مروره بأحد الأنفاق، فقال: اسمعي يا دافني. حدث في أول يوم لوصول صاحبك إلى فندق ليذربوت أن بدأ يكتب اسمه خطأ في سجل الفندق: «روجر بو»... ثم ما لبث أن استدرك وأسرع يمحو الاسم.

- ليس لديك دليل على هذا.

- هذا ثابت بشهادة الكابتن رنويك، صاحب الفندق، الذي رأى هذه الواقعة.

- لكن...

- ثم إني كنت في الفندق، ومعي تشيترنج أيضاً، عندما ألقى صاحبك تلك المحاضرة القصيرة عن سهولة القتل بواسطة الخنق. والواقع أن كلامه قد أوقف شعر رؤوسنا، ولم نشهد شيئاً رهيباً كهذا منذ مشاهدتنا لرتشارد نسفيلد في رواية الدكتور جايكل والسيد هايد.

وهنا همس دنيس في أذن بيريل قائلاً: يا إلهي! إن بروس يبالغ في تمثيل دوره مثل...

ولكن بيريل أسكتته ليسمعا كلام هربرت الذي راح يقول: وقد زاد الطين بلة -يا دافني- عندما استدرجه تشيترنج إلى الكلام عن أشهر القضايا الجنائية وعن قضية روجر بولاي بالذات. وعندما تكلم صاحبك الفاضل عن ضحية بولاي الثانية، هاوية الموسيقى...

- أرجوك أن تكف يا أبي.

- ذكر بعض التفاصيل التي يقسم تشيترنج (ويؤيده في ذلك القس) أنها لم تنشر قط في كتاب أو مقال.

قالت الفتاة متألمة: لا أطيق سماع هذا الكلام يا أبي. إنه كلام رهيب!

- نعم يا عزيزتي، لكنه صحيح.

فراحت الفتاة تقول بحمية: لكن، إذا كنت يا أبي تظن أنه الشخص الذي تتحدث عنه، وأنا أخالفك في هذا لأنني أحبه، فلماذا لا تذهب إليه وتفاتحه في ذلك؟

- وهذا هو عين ما أنوي أن أفعله يا عزيزتي.

فهتفت السيدة هربرت قائلة: لا تشرها فضيحة يا جوناتان! أليس أبسط من هذا أن تذهب إلى الشرطة؟

- أصارحك يا كلارا أنني قد ذهبت إلى الشرطة فعلاً.

فقالت الفتاة مشدوهة: ذهبت... ذهبت إلى الشرطة.

- نعم، منذ ثلاثة أيام.

- وماذا قالوا لك؟

- ضحكوا مني.

قالت الفتاة متهللة: لكن لماذا لم تخبرني بهذا قبل الآن يا أبي؟ ألا ترى أنه يضع حداً للأقاويل القذرة؟ فإن الشرطة أقدر من أي جهة أخرى على معرفة الحقيقة.

فتردد هربرت لحظة ثم أجاب متلعثماً: أصغي إليّ يا عزيزتي. لا أريد أن أظلم هذا الشخص، بل كل ما أريده لك أنا ووالدتك هو السعادة. لكني أعتقد أنه ليس بالإنسان الذي يصلح لك وسأثبت لك هذا بطريقة ما.

فقالت الفتاة بصوت محتبس: إذا لم تتروّ في الأمر فإنني

سوف أهرب معه غداً. نعم، سأفعل، وهو قد طلب مني هذا.

وسرعان ما وثب السيد هربرت قائماً وقال: هل طلب منك هذا الشخص أن تهربي معه وتتزوجيه؟

- نعم.

وعند هذا الحد تبادل دنيس وبيريل النظرات، وهمست الفتاة قائلة: لنذهب من هنا. أسرع بالله عليك.

فأطاع دنيس، وسار الاثنان في الممشى إلى المقصورة القريبة، وفتحت بيريل بابها وتقدمت خطوة، ثم أدركت -بعد فوات الأوان- إنها مشغولة.

كان في المقصورة رجل قوي البنية أصلع الرأس (لولا بعض خصلات من الشعر مشطها بعناية) يشغل وقته بتصفح كتاب بين يديه. ولما رأى الفتاة داخلة تلقاها بابتسامة يسيرة ونظرة مستطلعة، فهتفت بيريل التي كانت تريد مكاناً منفرداً تتحدث فيه مع دنيس بحرية: معذرة، لقد أخطأنا المقصورة.

فابتسم الرجل مرة أخرى ثم عاد إلى كتابه يقرأ هانئاً وادعاً، لكن دنيس استطاع أن يلمح عنوان الكتاب الذي روعه على صورة غير مفهومة، ولم يكن العنوان سوى: «فن تأليف المسرحيات»!

* * *

الفصل الثامن

ما كادت بيريل تستقر في مقصورة منفردة مع دنيس حتى تنفست الصعداء، فقال دنيس بصوت غريب: بيريل، هل فقد بروس صوابه؟

- لماذا تقول هذا يا دنيس؟

- لأن هذه «التجربة» قد بدأت تفزعني.

ثم استرسل في بيانه قائلاً بلهجة تشوبها الحرارة: أعني إنه عندما يندمج بروس في دور غرامي مفتعل لإثبات مسألة نظرية صرفة فهل من المعتاد أن يطلب إلى الفتاة أن تهرب معه وتتزوجه؟

وصمت دنيس لحظة، ثم استطرد قائلاً: هناك تعليل وحيد، وهو أن بروس قد وقع فعلاً في حب الآنسة هربرت هذه. ويعلم الله أني لا ألومه لو كان هذا.

- نعم، فقد استرعى نظري أنك تأثرت بها.

رد دنيس بصوت أعلى مما يجب: لم يحصل شيء كهذا! تذكري أنني لم أتبادل كلمة واحدة مع تلك الفتاة ولم أشاهدها سوى دقائق معدودة.

ظلت بيريل منزوية في مكانها دون أن تجيب، فقال دنيس بإصرار: والمهم الآن هو أنه لا بد من وضع حد لمهزلة الدور الذي يمثله بروس. إن رب الأسرة في تلك المقصورة يكاد يفقد صوابه. ستقع متاعب حتماً. على بروس أن يكف عن المباهاة بجرائم بولاي التي لم يعرفها إلاّ من المعلومات التي جاءت عنها في المسرحية.

فقالت بيريل بكل هدوء: لكنه لم يعرف تلك المعلومات من المسرحية، فهي ليست واردة في المسرحية!

- ما هذا الكلام؟!

فراحت الفتاة تقول: دنيس، هل تذكر تلك الليلة الأخيرة عندما اجتمعنا ثلاثتنا بحجرة بروس في المسرح؟ لقد قال بروس في سياق الحديث كلاماً لا زلت أذكره وهو هذا: "ثم هناك مشهد المرأة التي راحت تنظر خلسة من خلال ستائر النافذة، حيث شاهدت الضحية مخنوقة فوق الفراش بينما أخذ بولاي يشعل سيجارته تحت ضوء المصباح. هذه هي الحبكة المسرحية التي يعول عليها". ألا تذكر هذا الكلام يا دنيس؟

- أذكره طبعاً، لكن ما صلته بالموضوع؟

- لقد استغربت هذا الكلام في ذلك الوقت، لكني لم أقل شيئاً. ثم ثارت شكوكي عندما رأيت انزعاج المفتش ماسترز لدى سماعه نفس هذه الكلمات في الملهى، وهكذا قلت إن تلك المعلومات واردة في المسرحية، لكن الحقيقة أنها لم ترد في المسرحية فعلاً.

وفجأة سرى الرعب في نفس دنيس حتى همّ بأن يقف، بيد أن بيريل ردته إلى مكانه بإشارة منها قائلة: هكذا ترى أن تلك المعلومات لم ترد في المسرحية، والمفهوم أنها غير معروفة إلاّ للشاهدة والشرطة، ولكن بروس كان يعرفها!

وصمتت بيريل لحظة، ثم عادت إلى الكلام قائلة: إن بروس في الحادية والأربعين من عمره، وهذا يطابق الأعمار. ثم لماذا يكره بروس العمل في السينما إلى هذا الحد. إنه يقول في تعليل ذلك أن العمل في السينما يفسد خصائص الممثل على المسرح، لكن أليست الحقيقة أن ملامح وجهه لا تُعرف على المسرح في حين أنها تُعرف جيداً في أفلام السينما؟

وارتفع صوتها وهي تقول له: انتظر بالله يا دنيس قبل أن تقول شيئاً! الحقيقة أن شكوكي زادت تلك الليلة في الحانة، وقد بدا ذلك من حركاتي عندما أخذ السير هنري في الكلام. لقد قال ذلك الثعلب العجوز إن الأشياء تبدو مسلية إذا قرأها الإنسان معكوسة، بل إنه خط بعض الحروف على المائدة لبيان ما يريد. ألا ترى -يا دنيس- أن الحرفين الأولين من اسم «بروس رانسوم» هما الحرفان الأولان من اسم «روجر بولاي» معكوسين؟

استطال الصمت هذه المرة ثقيلاً رهيباً، ولما تكلم دنيس كان صوته غريباً أجش، إذ قال: ماذا تريدين أن تقولي بالله؟ تعنين أن بروس هو روجر بولاي؟

أجابت بيريل وهي تبتلع لعابها بصعوبة: أريد أن تثبت لي أنني مجنونة، لكنني أفكر في هذا الأمر ليلاً ونهاراً بدون راحة

حتى أبوح به لأحد أو أموت!

- لكن هذا تصور خارق.

- نعم، إنه مستبعد. لم أستطع أن أسلم به. إلاّ أنني...

ومدت يدها ببطء إلى حقيبتها الملقاة بجانبها على الأريكة وتابعت تقول: إلاّ أن هناك مسألة ملدريد ليونز.

- ملدريد ليونز؟ ماذا عنها؟

- ألا ترى يا دنيس؟ كانت ملدريد ليونز هي التي زارت بروس في المسرح تلك الليلة. كانت هي الشخص المجهول الذي أرسل الرسالة، وسرعان ما أخرجنا بروس من عنده بمجرد قراءة الرسالة. هذا لم يخطر لي وقتها طبعاً، فقد أعمتني الغيرة إذ ذاك عن كل شيء آخر. إن بروس لا يستطيع الابتعاد عن النساء، وقد ظننت في ذلك الحين أنه غرام جديد. لكنه لم يكن كذلك... لم يكن سوى ملدريد ليونز.

- انتظري لحظة، ما الذي يدعو ملدريد ليونز إلى زيارة بروس؟

- آه يا دنس! هل نسيت؟ إن ملدريد ليونز أخصائية في الآلة الكاتبة، وقد كان لها مكتب خاص في مصيف توركاي.

- وبعد؟

- الراجح أن ظروف الحرب أدت إلى إغلاق مكتبها، ولعلها انضمت إلى مكتب أكبر مثل «أثيل ويتمان وشركاه»، وإلى هذا المكتب أرسل بروس المسرحية لعمل نسخ متعددة منها.

- وقد قرأت ملدريد المسرحية تبعاً لذلك؟ أهذا ما تقصدين؟

- إن المسرحية لا تزيد عن كونها قطعة بريئة من نسج الخيال، ولكن من الطبيعي أن تثير فضول ملدريد ليونز، وإذن فهي ستسعى إلى بروس بكل براءة لترى إن كان يعرف شيئاً عن المؤلف. وفي حجرة بروس بالمسرح تجد نفسها وجهاً لوجه مع... مع قاتل، مع روجر بولاي نفسه! هل تتذكر ملامح وجهها عندما تسللت خارجة من المسرح تلك الليلة؟

أجل، كان دنيس يتذكر ذلك. لقد استعاد خياله الآن صورة المرأة ذات الشعر الأحمر وهي تهرول خارجة من باب المسرح وقد لمعت عيناها ببريق انفعال يتراوح بين الخوف والانتصار. وقد عجز المفتش ماسترز عن اللحاق بالآنسة ليونز تلك الليلة، فهي قد اختفت في غمار الزحام في طريق تشيرنج كروس إلى حيث لا يعلم إلاّ الله.

وفجأة خطر لدنيس أنه إذا وُجدت ملدريد ليونز ميتة... ولكن بيريل قطعت عليه خواطره بقولها: إنهم سيشنقونه... لا تدعهم بالله يشنقونه! وهذا هو السبب في أن السير مريفال قد منحه حرية كاملة، حتى يضع بنفسه الحبل حول عنقه.

- كفي عن هذا الكلام يا بيريل.

فقالت بلوعة شديدة: إنهم سيشنقونه!

وفقدت كل سيطرة على أعصابها فأخذت تنتحب، فلم يتمالك دنيس أن نهض عن مقعده وأمسك بمنكبيها وجعل يهزها بعنف حتى زالت عنها النوبة. وقال لها: أصغي إليّ يا بيريل.

- نعم؟

- أريد أن تنظري إلى عينيّ وأن تقولي إنك لا تصدقين كلمة واحدة من هذا الهذيان!

- لكني لا أصدقه... لا أصدقه فعلاً!

- إذن لماذا تتصرفين هكذا بالله عليك؟

- لأنه يجوز أن يكون صحيحاً، وإذا كان...

وفي هذه اللحظة استعاد خياله صورة بروس رانسوم، وتذكر تلك النظرات الغامضة التي لمحها تطل من عينيه في مرآة الزينة بحجرة المسرح، فلم يتمالك أن سرت قشعريرة رعب في عظامه. ولكن بروس صديقه، ولا يمكن أن يكنّ ذرة من الشك في أمره، وهكذا راح يحاول الخروج من هذه الظلمات قائلاً: ألا يخطر ببالك، يا بيريل، أنه لو صح أن بروس كان ذلك الشخص، فهل يفكر أو يقدم على تمثيل دوره الحقيقي على المسرح؟

- نعم، إنه سيفعل هذا من باب الغرور.

- الغرور؟

- نعم، مدفوعاً بنزعة المباهاة والغرور الجامحة التي لا يستطيع قاتل من هذا النوع أن يقاومها.

- لكن بروس ليس معروفاً بالغرور.

- لعلك تقصد أنه لا يظهر هذه النزعة. ثم إن المسرحية تنتهي بإثبات أن بطلها ليس هو بولاي بأي حال، وهكذا يضمن لنفسه خط الرجعة.

- إذا مضيت على هذا النحو يا بيريل فإنك تثيرين أشد قلقي. إن ما تفكرين فيه شيء مهول خارق! وإذا تركنا المسرح جانباً، فهل يعمد بولاي الحقيقي إلى الظهور في قرية ريفية لتمثيل دوره الحقيقي؟ هل يثير الناس ضده ويتعرض لتعقب الشرطة له؟

- كلا، هذا اعتراض وجيه، اللهم إلاّ...

فقال لها: إنك تسرفين في الخيال، إن خيالك هذا يسمم حياتك ولا بد أن تنزعي هذا الهراء من رأسك. إن بولاي الحقيقي قد يكون في عداد الأموات، وعلى أي حال فهو بعيد عن أولد بريدج بمئات الأميال، إن بولاي الحقيقي...

وفي هذه اللحظة سمع صوتاً جديداً يقول صاحبه: معذرة.

لم يسمع أحدهما - في غمرة اضطرابهما- صوت فتح باب المقصورة، أما الآن فقد وقف أمامهما في المدخل شخص طويل القامة نحيل العود، راح يتطلع إليهما بابتسامة مؤدبة.

كانت هيئته تدل على أنه من ضباط البحرية المتقاعدين، وكان محياه الباسم ينتهي بلحية قصيرة، وكان كمه الأيسر مشدوداً إلى جيبه مما يدل على أنه فقد ذراعه في الحرب. وأمسك بيمناه حقيبة سفر عليها بطاقة مع حقيبة دنيس فوستر الصغيرة.

ولم يلبث الشخص الملتحي أن قال بصوت عذب: معذرة على تطفلي، لكن أيمكن أن أسأل يا سيدتي إن كانت هاتان الحقيبتان لك؟ لقد وجدتهما في الممشى.

فأجابت وقد استعادت هدوءها: الحقيبة الكبرى لي، شكراً جزيلاً يا سيدي.

وقال دنيس: والصغرى هي حقيبتي. إنني آسف إذ نسيتها في الممشى.

فوضع الرجل إحدى الحقيبتين بجانب بيريل (وكانت تحمل اسمها وعنوانها إثر عودتها بالباخرة)، ووضع الثانية بجانب دنيس. ثم تابع يقول بعد تردد يسير: هل لي أن أسأل إن كنت أنت الآنسة بيريل وست التي أبرقت تطلب حجز غرفتين بفندق ليذربوت؟

- نعم، لكن...

- أنا صاحب الفندق، واسمي رينويك، وكنت في المدينة مثل كثيرين من أهل القرية، ومنهم السيد والسيدة هربرت وابنتهما، وكذلك السيد تشيترنج لكني.

فقاطعته قائلة: معذرة، هل السيد تشيترنج شخص قوي البنية فضولي النظرات؟ وهل يقرأ كتاباً عن فن كتابة المسرحيات؟

فقال رينويك: إن تشيترنج يحب الكلام فعلاً، ولا يستطيع حتى أصدق أصدقائه أن ينكروا ذلك. لكن ما أردت أن أقوله لك يا آنسة وست هو أنني آسف لعدم وجود أماكن خالية بفندق ليذربوت.

فلم تتمالك بيريل أن وثبت قائمة ثم قالت: لكنك استقبلت فعلاً...

وأمسكت بيريل عن إتمام ما كانت تريد قوله، فقال رينويك: نعم، لقد استقبلت فعلاً أحد النزلاء. إنه يدعى السيد بروس

إيجرتون من لندن، وقد خصصت له غرفة نوم وغرفة جلوس، وأقولها صريحة إنني أتمنى لو لم أفعل هذا.

فسأل دنيس وقد أحس بجفاف في حلقه: آه! وما السبب؟

- لأنني لا أحب أن أراه يُرجم بالأحجار حتى الموت.

- يُرجم؟!

- بعضهم رماه أمس بحجر من خلف سور الحديقة، وقد أصابه الحجر في صدغه وكاد يلقيه مغمى عليه. إن الجو هنا لن يكون مشجعاً لكما، ومرة أخرى معذرة لتطفلي عليكما.

حياهما باسماً واتجه إلى الباب، فاستوقفته بيريل قائلة له: أرجو أن تصدّقني لو قلت لك إن من الأهمية البالغة أن ننزل في الفندق، فهل يمكن أن تدبر لنا مأوى كيفما اتفق، حتى ولو لليلة واحدة؟

فتردد رينويك لحظة، ثم قال أخيراً: لا بأس، سأرى ما يمكن عمله في هذا الشأن، فقط كونا على حذر.

- ماذا تقصد؟

- أقصد ما قلته يا آنسة، كونا على حذر.

ثم ودعهما بابتسامة عذبة وخرج إلى الممشى وجذب الباب خلفه، متجهاً شطر المقصورة التي يشغلها تشيترنج. أما بيريل فقد لزمت مكانها جامدة لحظة، وما لبثت أن لوحت بذراعيها قائلة بصوت أجش يشف عن الفزع: يا إلهي! رحماك يا إلهي!

وسرت في جسدها رعدة هزّت كيانها هزاً.

الفصل التاسع

هبط دنيس وبيريل من القطار في محطة سيكربست، ووقفا لحظة يسرحان الطرف في المنطقة المحيطة بهما.

كانت الساعة تناهز الرابعة والنصف، وهبت الريح آتية من بحر الشمال مشبعة برائحة الملح، ولاح لهما الفندق عند حافة الشاطئ وقد نالت عناصر الطبيعة من طلائه الأبيض ونوافذه الخضراء، وامتدت أرض الغولف متدرجة تخالطها رقاع خضراء، وخيم الصمت الموحش في أرجاء المنطقة كلها.

وقالت دنيس فجأة: ماذا تنوين أن تقولي لبروس يا بيريل؟

- لا أدري.

- لعلك لن تقولي له شيئاً من ذلك الهذيان الذي يزعم به أنه بولاي؟

لم تجب بيريل، وهبطا درجاً خشبياً وسلكا طريقاً أفضى بهما إلى أرض ملعب الغولف. وتكلم دنيس مرة أخرى فقال لها: أتحبين بروس إلى هذا الحد يا بيريل؟

- نعم.

- وهل تظلين على حبك إذا كان... ما تعتقدين؟

أدارت بيريل وجهها ممتقعاً وأجابت: إذا صح أنه بولاي فإنني سأقتله بيدي.

- رفقاً يا بيريل!

- أنا أعني ما أقول يا دنيس. ولا أعرف إن كنت سأجد القوة لتنفيذ هذا العزم، ولكني سأحاول. فعندما أفكر في جميع النساء اللاتي فتك بهن...

وصمتت فجأة وهي تشير إلى شيء أمامها، ذلك أن أول شخص صادفاه في سيكربست كان السير هنري مريفال نفسه.

أما العجوز فلم يبصرهما أول الأمر. كان واقفاً تحت أغصان شجرة كستناء مواجهاً ملعب الغولف، وكان مرتدياً بذلة صارخة الألوان، وبيده كيس به مجموعة مضارب. وبينما كان منهمكاً في البحث عن كرة غولف اختفت في إحدى الحفر إذ ظهر فجأة من خلف شجرة قريبة غريمه الاسكتلندي ماكفرجوس، مدرب الجولف، واشتبك الاثنان في مناقشة حامية كالعادة حول قواعد اللعب وأصوله.

- سير هنري!

كانت مفاجأة أثارت ارتباك الرجل العجوز عندما سمع الفتاة تناديه. واقتربت منه بيريل قائلة: منذ متى أنت هنا؟

- أنا؟ منذ أسبوعين، لقد كنت ألعب الغولف.

- أهذا كل ما كنت تفعله هنا؟

- في الحقيقة قابلت صديقك بروس رانسوم مرة أو مرتين في الماضي. ولكني هنا في إجازة. هذا كل ما هنالك.

ومرت بهم في هذه اللحظة سيارة أجرة قادمة عن طريق أولد بريدج، وما لبثت السيارة أن وقفت فجأة وأطل منها المفتش ماسترز الذي حيّا الرجل العجوز، ثم هبط من السيارة وانضم إليهم.

قال العجوز بلهجة التحفظ: ماسترز؟ أيها الثعبان الأملس! لم أكن أتوقع قط أن أراك هنا.

- لم تتوقع أن تراني؟ ماذا كنت تتوقع إذن بعد أن كتبت إليّ تخبرني أن روجر بولاي موجود هنا رغم كل شيء؟

خيم صمت عميق، وبعد برهة قال العجوز: إنك تضيع وقتك سدى. اللهم إلاّ إذا هبط عليّ الوحي فجأة واستطعت أن أفيدك بشيء.

- أهذا الشخص هو بولاي؟

- آه! نعم.

- أيمكنك إثبات ذلك؟

- أظن.

- إذن ماذا ترانا ننتظر؟

فأجاب السير هنري وهو يحك فكه: أنت محتاج -يا ماسترز- إلى عدة أشياء تقال لك الآن وفي هذا المكان.

ورمق دنيس وبيريل بنظرة ثابتة، ثم أردف قائلاً: ومن العدل أن تعرفا هذه الأشياء أيضاً أيها الشابان. اسمع يا ماسترز، هل تحب أن أذكر لك بعض البيانات المفيدة عن المسألة التي نسميها «مشكلة التخلص من الجثة»؟

- أفي ذلك شك؟

جلس العجوز فوق جذع شجرة ووضع قبضته وحقيبة مضاربه على الأرض، ثم تطلع إلى المفتش قائلاً: أولاً، لنستعرض أسلوب القاتل العادي الذي يقتل ضحيته (وهي امرأة في الغالب) ثم يخفي الجثة ويتظاهر بأنه لم يرتكب جريمة. إن هذا القاتل مثال الغباء. إنه يكرر، في تسع حالات من عشر، نفس الغلطة؛ فبدلاً من أن يدفن الجثة على مسافة أميال بعيدة عن مقره (وهو ما يجعله بمأمن) يعمد هذا الغبي إلى دفنها في أرض منزله أو حديقته. إن هذا الطراز من المجرمين يعتقد، لسبب غامض، أنه يغدو أكثر أمناً بإبقاء الجثة قريبة منه. وأنتم تعرفون هذه القاعدة وتتوقعونها يا رجال الشرطة. ولكن يحدث أحياناً -يا بني- أن يأتي قاتل ليس من هذا الطراز الغبي. ولنأخذ بولاي مثلاً. لقد أثرت أكبر اهتمامي بتلك البيانات التي زودتني بها عن ماضي حياته قبل أن يتخذ قتل النساء حرفة له! إن بولاي ينتمي إلى أسرة طيبة مات أفرادها جميعاً. فقد ولد في جزيرة جامايكا، وكان أبوه حاكم الجزيرة على مدى أعوام طويلة. ودرس القانون في شبابه حتى برع فيه على نحو غريب، وكان أيضاً ممثلاً هاوياً من الطراز الأول. لكن المهم أنه درس القانون كما قلت، درسه وبرع فيه بحيث غدا أخصائياً في استنباط الألاعيب والحيل للتخلص من

طائلة القانون. إنها ظاهرة نفسية مثل ظاهرة احتراف قتل النساء: فالحقيقة أنه عانى في صباه، كما يبدو، من مركب نقص شنيع فيما يختص بالنساء.

قالت بيريل بدهشة: مركب نقص فيما يختص بالنساء؟

- نعم. يخيل لي أنهن لم يكنّ يعرنه أي اهتمام، ولكنه تورط فعلاً في مغامرة مع امرأة، وكانت زنجية. وحدثت فضيحة كان لا بد من كتمانها. وهكذا هرب إلى إنجلترا واختفى عن الأنظار. ألا ترى -يا ماسترز- أن هذه كلها بيانات طريفة مفيدة؟

فقال المفتش بحدة: طريفة؟ ربما، لكن البيانات لا ترشدنا إلى الكيفية التي تخلص بها من الجثث.

- هذا رأيك، ألا ترى أن فيها ما يساعده؟

- كلا يا سيدي.

- في هذه الحالة إذن ننتقل إلى النقطة الثانية. ولننسَ مؤقتاً ضحايا الجرائم الثلاث، أنجيلا فيبس وإليزابيث موسنار وأندريه كوبر، ولنركز اهتمامنا على الجريمة البشعة التي ارتكبت في ضاحية توركاي منذ أحد عشر عاماً. في هذه الجريمة عمد بولاي (المنتحل اسم ر. بندكت) إلى استئجار فيلا مفروشة حل فيها مع زوجة جديدة. وقد حدث ما أثار ارتياب الشرطة المحلية في أمره حتى وضع الفيلا تحت المراقبة الليلية، وفي ليلة السادس من شهر يوليو خنق زير النساء هذا زوجته، السيدة بندكت، وغادر الفيلا في اليوم التالي. أليست هذه البيانات مطابقة للواقع؟

- هو ما تقول.

فانحنى العجوز إلى الأمام وقال بجهد كبير: والآن أتحداك يا ماسترز أن تقرأ هذه البيانات ثم لا تستخلص منها شيئاً واحداً. لقد كان بولاي يعلم أنه موضوع تحت مراقبة الشرطة، ومع ذلك يمضي في ارتكاب جريمته بهمة ونشاط ويهتم حتى بإسدال ستائر النافذة بإحكام. آه يا بني! أليس لهذا الأمر دلالته في نظرك؟ والنقطة الثالثة بعد ذلك تتصل بالزوجة التي اختفت من الوجود. مَن كانت هذه الزوجة يا ماسترز؟ وما اسمها؟ وأين عقد زواجهما؟ وفي أي بنك كانت تودع أموالها (إن كان لها مال)؟ لقد بحثت في جميع السجلات التي أرسلتها لي وقرأتها بحثاً وفحصاً، فلم أجد جواباً شافياً لهذه الأسئلة كلها.

ولزم العجوز الصمت لحظة ثم استطرد في النهاية قائلاً: اسمع يا ماسترز. إن هؤلاء السفاحين بالجملة الذين يتخذون ضحاياهم من النساء متشابهون جميعاً. إنهم يتشابهون في شيء واحد، وهو وجود امرأة واحدة لا يقتلونها بين عديد الضحايا. أعني -يا بني- أنه توجد دائماً امرأة يعودون إليها، امرأة يعاشرونها ويعيشون معها في الفترة ما بين جريمة وأخرى، امرأة تصفح عنهم حتى ولو وقفوا أمام المحكمة. وروجر بولاي واحد من هؤلاء.

خيم صمت ثقيل لا نهاية له، ووقف المفتش ماسترز منفعلاً متردداً. وما لبث أن تنحنح وقال بلهجة التهكم: وهل عندك نقطة أخرى تبين لنا كيف تمّ التخلص من الجثة؟

فأجاب العجوز برصانة: بقيت نقطة خامسة وأخيرة. إنني

أشفق من هذه النقطة يا ماسترز لأنها ستكون بمثابة صدمة لك، لكني سأقولها لك وجهاً لوجه. إذا وضعت يدك على روجر بولاي في هذه اللحظة فهل أنت متأكد من إمكان إدانته؟

قال ماسترز وقد استرد أنفاسه المحتبسة: حتى مع وجود ملدريد ليونز كشاهدة؟

حتى مع وجود ملدريد ليونز كشاهدة. إن النيابة -يا بني- قد تخاف من رفع الدعوى ضد بولاي، هذا ممكن. لكن إذا فعلت، فإن محامي المتهم سيركز دفاعه قائلاً إنه لم يقم الدليل على وجود جثة امرأة أو جثة ميتة فعلاً، ولهذا لن يمكن الحكم بإدانته.

فقال المفتش بصوت خافت: فهمت يا سيدي، ومعنى هذا أن الحظ سيكون في جانب بولاي كالعادة.

- أنا آسف يا ماسترز. هذا هو الواقع.

- وهل معنى هذا أنه سيفلت من أيدينا إلى الأبد؟

- لا أظن يا بني. لقد استطعت منذ البداية أن أتنبأ بجوهر القضية، وقد جاءت البيانات التي زودتني بها عن ماضيه مؤيدة لنظرياتي. وأحب أن أطمئنك فأقول إنه قد ألقى بنفسه طائعاً بين أيدينا. إن غروره جعله يربط مصيره بتلك المسرحية، وهذا ما جعلني أعد له الفخ الذي أعددته له. وغلطة واحدة يرتكبها ستؤدي إلى قصفه كما ينقصف هذا العود في يدي!

* * *

الفصل العاشر

فوجئت بيريل عند دخولها بهو الفندق مع دنيس برؤية دافني هربرت جالسة.

ولما استفهمت من الخادم عما إذا كان السيد بروس إيجرتون موجوداً في غرفته (ويلاحظ أنها استخدمت الاسم المستعار الذي اختاره بروس) قيل لها إنه في الخارج وإن الفتاة الجالسة تنتظره بدورها.

ولكن بيريل لم تستسلم للأمر الواقع، وقالت للخادم إنها ستصعد إلى غرفة السيد إيجرتون لانتظار عودته مع رفيقها، لأنهما من خاصة أصدقائه. فلم يملك الخادم إلاّ أن يرشدهما إلى مكان الغرفة.

كانت غرفة استقبال في الواقع، وشاهدا بداخلها حقيبة بها مجموعة من مضارب الغولف في أحد الأركان. وكان المكتب الصغير بالغرفة تعلوه آلة كاتبة صغيرة ومجموعة رسائل لم تتم الإجابة عليها، وتناثرت فوق المقاعد نسخ من المجلات المختلفة منها مجلة «راديو تيمس» وكتاب ضخم عنوانه «العبقرية والإجرام».

ورفعت بيريل صوتها تنادي بروس غير عابئة باحتجاج دنيس، قائلة: إنه هنا! أنا أكيدة أنه هنا!

وفعلاً، لم تنقضِ ثوانٍ حتى سمعت حركة من خلف باب إلى اليمين، يفضي ولا شك إلى غرفة نوم بروس، ثم أدير المقبض ولاح لهما بروس مرتدياً (الروب دي شامبر) الحريري الذي كان يرتديه من قبل في غرفته بالمسرح.

كان بروس هادئاً صافي الملامح، وتشاغل لحظة بإشعال سيجارة بعد أن حياهما بإيجاز، ثم قال أخيراً: الظاهر أنني قد بالغت في تمثيل دوري أكثر من اللازم. يا لها من تجربة تورطت فيها!

- نعم، خصوصاً عندما عرضت عليك تلك الفتاة أن تهرب معك وتتزوجك!

فقال بصدق وحرارة: أنا أحبها، الحقيقة أنني قد وقعت في الحب صدقاً هذه المرة.

وتهالك في مقعده ووضع رأسه بين يديه. وبعد فترة صمت قال: أنا شخص خسيس يا بيريل. كان يجب أن أكتب إليك بهذا. لقد بلغ من معاونة دافني لي أنها اختلست الآلة الكاتبة الصغيرة الخاصة بأبيها لكي أتمكن من الرد على رسائلي المتراكمة. يا لها من فتاة بديعة!

ثم التفت إلى دنيس قائلاً: لقد كنت على حق عندما قلت لي إني لا أستطيع أن ألعب بمشاعر الناس وحياتهم على تلك الصورة. لقد جلبت كل هذا على نفسي بيدي. لقد أصبح الجميع

هنا (بما فيهم الوالد والأم والفتاة) يعتقدون أنني روجر بولاي.

فقالت بيريل: ولماذا لا تقول لهم إنك لست هذا الشخص؟

- أصارحك أنني كنت أنوي هذا. كنت أنوي أن أضع اليوم حداً للمهزلة كلها، لولا أن في غرفة نومي الآن... جثة امرأة قتيلة!

* * *

الفصل الحادي عشر

كرر بروس كلامه قائلاً: إنها ميتة، وأظن أنها ماتت خنقاً.

فصاحت بيريل: إنها ملدريد ليونز! أليس كذلك؟ إنها ملدريد ليونز.

- نعم، إنها هي. وماذا تعرفين عن ملدريد ليونز؟

ولكن بيريل اندفعت إلى باب غرفة النوم غير عابئة بمحاولة بروس منعها، ولما فتحت الباب لمحت في الضوء اليسير المنبعث من النوافذ الأربع هيكلاً قابعاً في مقعد وثير قرب الفراش. وفي هذه اللحظة ومض ضوء سيارة قادمة فكشف الوجه والشعر الأحمر لذلك الهيكل القابع في المقعد، حتى لم تتمالك بيريل أن تراجعت قائلة: يا لك من أحمق يا بروس! إن شهادة هذه المرأة ضدك لم تكن تكفي لإدانتك. هكذا قال لنا السير هنري مريفال، لكنك قتلتها وسوف يشنقونك ما في هذا شك.

فقال بروس بصوت أجش: ما هذا الهراء يا بيريل؟ هل فقدت صوابك؟ أنا بروس رانسوم، ونحن قد دبرنا هذه العملية معاً. لقد كانت فكرتك، ألا تذكرين؟

قالت له بعنف: أنت بروس رانسوم الآن، لكن مَن كنت قبل

ذلك؟ ألم تكن في جامايكا من قبل؟ جامايكا التي جاء منها روجر بولاي!

فقال بروس بلهجة الارتياع: يا إلهي! لعلك لا تظنين أنني ذلك الشخص فعلاً؟

والواقع أن نبرات صوته كانت تشف عن أبلغ الصدق والإخلاص، حتى اقتنع دنيس بأنه لا يكذب ولا يموه. بينما قالت بيريل وهي تحدق فيه مرتبكة: هناك اسمك، الحرفان الأولان بالمعكوس، ثم هناك تلك المعلومات التي كنت تعرفها ولم تكن واردة في المسرحية.

- بالمعكوس!

ردد بروس هذه الكلمة وراح يضحك عالياً ضحكات هستيرية حتى دمعت عيناه، وأمسك بدرج المكتب حفاظاً لتوازنه. وبتأثير هذه الحركة انفتح الدرج ولمح فيه دنيس بضع صفحات مكتوبة على الآلة الكاتبة كانت أعلاها تحمل رقم ٧، كما لمح ورقة تغليف مثنية مطبوعاً عليها بحروف باهتة هذه الكلمات: «مشرب الشاي القديم، أولد بريدج».

وهتف بروس مرة أخرى: هل خطر لك بالله أنني... لا بأس، اسمعوا إذن. لقد كانت ملدريد ليونز على موعد معي هنا عصر اليوم، حيث كتبت إليّ تخبرني بأنها ستركب القطار الذي يصل بها إلى سيكريست في الساعة الرابعة والربع وأنها ستجتاز طريق ملعب الغولف إلى هنا، لكنها لم تصل. لقد انتظرتها حتى الخامسة إلاّ الربع، ثم خرجت للسباحة عن طريق الدرج الخارجي

المتصل بحجرة نومي، وعدت إلى هنا من نفس الطريق حيث ارتديت ثيابي، ولما فتحت الخزانة لإخراج (الروب دي شامبر) سقطت الجثة من داخله.

ومر بروس بيده أمام عينيه وأردف: يا إلهي! لا ريب أنها كانت على شاطئ البحر أيضاً.

- ولماذا؟

- كان وجهها مغطى بالرمل. لقد أطبق القاتل بيديه على عنقها، ثم دس وجهها في الرمال حتى اختنقت. كان الرمل في أسنانها وأنفها وعينيها، وكانت العينان جاحظتين والرمل يغشاهما، يا له من مشهد فظيع لن أنساه ما عشت!

وأراهما المنديل الذي أزال به الرمال عن وجه المرأة القتيلة، ثم رده إلى جيبه قائلاً: ثم كان حضوركما على الأثر. ما الذي أخركما؟

- لقد كنا نتبادل الحديث مع السير هنري مريفال والمفتش ماسترز، وهما يعتقدان -يا بروس- أنك روجر بولاي.

قال بروس وقد اشتد شحوب وجهه: هذا كذب!

- ليس كذباً، إن السير هنري...

- أنا أعلم أن السير هنري هنا، لقد تحدثت معه وهو لا يؤمن بحرف من هذا الذي تقولان، لكن المهم الآن هو أنه إذا ضبطت الجثة عندي فستكون النتيجة...

وفي هذه اللحظة سُمعت طرقة خفيفة على الباب الخارجي،

وانفتح الباب على الأثر وبدت منه دافني هربرت يتبعها أبوها.

كان الباب الموصل إلى غرفة النوم مفتوحاً، وقد همت بيريل بأن تغلقه لحجب الجثة عن القادمين، لكنها أمسكت لئلا تثير الشبهة.

وأسرعت دافني بالوقوف إلى جانب بروس وأمسكت بذراعه، فقال أبوها وقد غشيت وجهه سحابة وجوم: بالأمس ذهبت مع دافني وأمها إلى لندن ونحن نتصور أن هذا سيصرف تفكيرها إلى ناحية أخرى، ولكنها أصرت على العودة اليوم. والواقع أننا لم نكد نصل إلى أولد بريدج حتى وثبت من القطار وابتعدت مسرعة، ولم يكن عندي شك في وجهتها، وهكذا تبعتها إلى هنا ظناً مني أنني أستطيع...

وكفّ الرجل عن إتمام كلامه وهو يتطلع إلى بيريل ودنيس محرجاً، فقدمهما بروس إليه وأردف يخاطب دنيس: قل للسيد هربرت من أنا في الحقيقة.

فتردد دنيس أول الأمر، لكنه قال بعد إلحاح بروس: الحقيقة يا سيد هربرت أن هذا الرجل الذي تعرفه باسم بروس إيجرتون ما هو إلاّ بروس رانسوم الممثل، ومنذ نحو شهر قامت مشكلة حول نقطة معينة، هي ماذا يكون شعور الناس إذا تظاهر إنسان ما بأنه قاتل مشهور ثم كشف لهم بعد ذلك أنه لم يكن كما زعم.

وبعبارات موجزة شرح دنيس طبيعة الموقف، وعلى الأثر خيم صمت ثقيل، واختلس دنيس نظرة إلى ناحية دافني فرآها تتراجع بينما قال والدها بهدوء: فهمت، إذن فقد كان كل شيء،

بما في ذلك التحبب إلى دافني، خطة محكمة؟

حاول بروس أن يتكلم، ولكن الوالد تقدم نحوه بهدوء وصوب إلى وجهه لكمة عنيفة لو لم يتفاداها بيسراه لهشمت وجهه، وقال للرجل: لا أريد أن أؤذيك، فلا تكرر هذا مرة أخرى... وإن كنت أستحق ذلك!

- بل تستحق أشد من هذا، ولو أنني كنت أصغر سناً للقنتك درساً لن تنساه، هلمي بنا يا دافني.

هتف بروس يخاطب الفتاة: دافني! ألا تحبينني؟

ولكن الفتاة قالت وهي في أشد الإعياء: لا أعرف، أريد أن أفكر. أنا أحبك فعلاً، وقد كنت أظن أكثر الوقت أن شيئاً عن التمثيل والمسرح يقترن بك، لكني لم أهتم بهذا حتى حدث ما سمعته الآن.

فأجاب وهو يتقدم خطوة نحوها: ليس هذا من التمثيل في شيء يا دافني، لقد بدأت المسألة تمثيلاً فعلاً، ولكنها تحولت إلى شيء آخر. لقد كنت أعني كل كلمة قلتها لك.

وإزاء لهجة الإخلاص والصدق التي شاعت في كلماته وقفت الفتاة مترددة لحظة، ولكنها لم تلبث أن خاطبت أباها قائلة: هيا بنا الآن.

ولما صارت الفتاة عند الباب قال لها رانسوم: هناك سبب قاهر يمنعني من الذهاب معك الآن يا دافني، لكني سأتصل بك تليفونياً صباح الغد وأثبت لك أنك تظلمينني لسوء ظنك بي.

فقال الأب: إذا حاولت الاتصال بابنتي فسوف أقتلك.

ووقف رانسوم يحدق في الباب الذي أغلق خلفهما، وأخيراً قالت بيريل: هل رأيت الآن كيف كان تأثير الخاتمة في نفس كل منهما؟

- اسمعي يا بيريل، لعلك لا تصدقين الآن ذلك الهراء الذي كنت تقولينه عن ارتيابك في حقيقة شخصيتي؟

- لا أدري ماذا أقول يا رانسوم. الحقيقة أنني عندما أكون بعيدة عنك تنتابني أفظع التصورات، وعندما أراك من جديد لا تكون في نظري إلاّ بروس رانسوم الذي عرفته طوال ذلك الزمن.

- إذن فهل تفعلين شيئاً من أجلي؟ يجب ألا تغادر دافني ووالدها الفندق لمدة نصف ساعة، أريد أن تلحقي بهما يا بيريل وتحتجزيهما بأية قصة تنتحلينها، هلا فعلت ذلك وبسرعة؟

- ولماذا أصنع ذلك؟

- لأنني أريد أن أستعير سيارة دافني وأبتعد من هنا قبل أن يعرفوا أني قد ذهبت.

- أصغي يا بيريل، إذا حالفني الحظ سيكون بمقدوري في خلال ساعات قلائل أن أصنع شيئاً يجعل دافني تعانقني ووالدها يصافحني بدلاً من محاولة الاعتداء عليّ. إن الله لن يتخلى عني بعد أن رماني النحس بتلك الجثة.

فقبلت الفتاة أخيراً، ولما أرادت أن تصحب دنيس اعترض

رانسوم قائلاً: لا يمكنني الاستغناء عن دنيس، أنا محتاج إلى مساعدته لي في مسألة أخرى.

فقال دنيس: مهلاً! ما هي هذه المسألة؟

- سنتعاون معاً -أيها الصديق- في التخلص من الجثة. عندي طريقة مضمونة للخلاص منها!

* * *

الفصل الثاني عشر

هتفت بيريل: التخلص من الجثة؟ بنفس الطريقة التي كان بولاي يتخلص بها من الجثث؟

- لا طبعاً، لا تكوني بلهاء! كنت أفكر في مدرسة التدريب العسكري القديمة و...

- إن بولاي في أولد بريدج، هذه حقيقة، وقد قرر السير هنري مريفال هذا.

- نعم يا فتاتي، بولاي موجود في أولد بريدج طبعاً. هذه حقيقة عرفتها طول الوقت، وهذا هو السبب في وجودي هنا، ألا تفهمين؟ إن بولاي هو الذي كتب المسرحية.

- تعني المسرحية التي...

- المسرحية التي تفضح أمره، وتفضح سراً أو اثنين!

- لكن هذه هي المشكلة. إن المسرحية لا تكشف عن أية أسرار!

فقال رانسوم وهو يبتسم انتصاراً: المسرحية لا تكشف الآن

عن أسرار لأنني قد أعدت كتابة أجزاء منها قبل السماح لأي إنسان بالاطلاع عليها، انظري.

وجذب درج المكتب الذي فتحه من قبل، وكشف بداخله عن مجموعة صفحات مكتوبة على الآلة الكاتبة فوق ورق مثني للتغليف، واستطرد يقول: هذه الصفحات من النسخة الأصلية، وقد سجلتها عند موثق العقود. هذه صفحة ٧ من الفصل الأول، وهذه صفحة ٤ من الفصل الثاني، وهاتان صفحتان ٢٨ و ٣٦ من الفصل الثالث. هنا وصف لجريمة بولاي الثانية، وهو ما جعلني أتأكد من أن المؤلف هو القاتل. وهنا وصف لمقتل أندريه كوبر، وهنا كلام كثير عن الجريمة الأخيرة مع إشارات إلى الفتاة ذات الشعر الأحمر التي نالت أجرها عن الكتابة ورقة مالية رديئة وعادت إلى الفيلا وشاهدت القاتل من النافذة وهو منهمك في جريمته... انظري إليها جميعاً.

فامتثلت بيريل، ومضى في حديثه قائلاً: هل تذكرين قولك في ليلتنا الأخيرة في غرفتي بالمسرح إن بعض صفحات النسخة الأصلية مكتوبة على ورق مختلف؟ لقد خطر لك وقتذاك أن المؤلف قد غير رأيه في أغلب مواضع المسرحية، لكن الحقيقة غير ذلك. أنا الذي غيرت الصفحات، إذ كتبت مادة أخرى بحيث لا يستطيع من يقرأ المسرحية أن يستنتج ما استنتجته أنا.

- تعني؟

ثم أردف قائلاً بلهجة هستيرية: والآن يا بيريل، لا بد لي من

استعارة سيارة دافني حالاً قبل ابتعادها وإلاّ فشلنا جميعاً، فهلا أسرعت لنجدتي؟

فقالت وقد صارت أشد اقتناعاً ببراءته: سأصنع ما تريد، اعتمد عليّ.

وهرولت خارجة من الحجرة، فتنفس رانسوم الصعداء والتفت إلى دنيس قائلاً: هل فهمت الآن الموقف أيها الصديق؟ الساعة تقترب الآن من السادسة، ولا بد لنا من إخراج الجثة من هنا قبل الساعة السادسة وهو موعد امتلاء البار بالرواد.

وقاده بروس عبر حجرة النوم إلى باب أفضى بهما إلى شرفة صغيرة ينحدر منها درج خشبي ينتهي بفناء مكسو بالحصى، وقفت فيه سيارة ذات مقعدين كان نورها الأمامي مضاء، وقد همس رانسوم مبتهجاً: هذه سيارة دافني، لقد نجحت بيريل في حجز الفتاة مع والدها في داخل الفندق.

وطلب إليه بروس أن يهبط إلى مكان السيارة ويطفئ نورها ويقترب بها من مكان السلم، ولما اعترض دنيس وأبدى نفوره من الاشتراك في هذه العملية الخطرة (التي قد تنتهي بهما إلى الشرطة) ناشده رانسوم أن يخف لنجدته في هذه المحنة لأنه يجهل قيادة السيارات، مؤكداً له أنه سيخفي الجثة في مكان أمين لا يمكن أن يفطن إليه أحد حتى ولو فتش عنها فيه، لكي يتهيأ له إتمام خطته لاقتناص بولاي.

وهكذا امتثل دنيس، فهبط الدرج وتسلل إلى مكان السيارة، وبعد جهد خارق استطاع أن يقترب بها من نهاية الدرج. ولما

تطلع إلى الشرفة لمح رانسوم يهبط حاملاً الجثة بين يديه فخف إلى مساعدته، وتعاون الاثنان في حشرها في المقعد الخلفي وغطياها بسجادة صغيرة، وأخيراً همس دنيس: اركب ودعنا ننتهِ من هذه المهمة اللعينة.

- مهلاً يا بني! كيف يمكن أن تمضي بالسيارة في البلدة وأنا بهذا الروب؟ إذا استوقفنا أحد لكان الموقف غريباً. لحظة واحدة حتى أرتدي ثيابي.

وارتقى رانسوم الدرج مسرعاً، ووقف دنيس في الظلام يحصي الثواني وكأنها أجيال. وفي هذه اللحظة انبعث من خلفه صوت يقول: سيد فوستر؟

كان المتكلم هو الكابتن رينويك صاحب الفندق.

* * *

الفصل الثالث عشر

لو أن أحداً آخر كان في مكان دنيس لوثب من وقع هذه المفاجأة، ولكنه تمالك نفسه وأغلق باب السيارة بهدوء، وواجه الكابتن رينويك الذي كان يقترب منه حول ركن المبنى قائلاً: نعم؟

- لي كلمة معك.

قال الرجل هذا وعينه تنظر إلى السيارة نظرة ارتسمت فيها علامة استفهام، فضحك دنيس قائلاً: هذه سيارة الآنسة هربرت، وقد كلفني السيد إيجرتون بأن أحضر له شيئاً من المقعد الخلفي، لكني لم أجد ما يريده.

فقال الكابتن رينويك وهو يتطلع إلى الدرج الخشبي: آه، هل عاد السيد إيجرتون إذن؟

- نعم.

- لا بأس، لقد أردت أن أكلمك في موضوع الغرفة التي تطلبها في الفندق، ويؤسفني أن أقول إنني لم أجد غير مكتبي. لكن هذا ليس هو هدفي الأصلي. إن السيد جوناتان هربرت يريد التحدث معك في صالة الفندق حالاً لأمر هام.

كان موقفاً رهيباً، لكن لم يكن أمامه سوى العمل على كسب الوقت حتى يجد فرصة للاتصال ببروس من جديد. وهكذا تبع دنيس صاحب الفندق إلى البهو، وفي أحد الأركان شاهد دافني ووالدها وبيريل جالسين حول مائدة صغيرة وكانت الفتاتان منهمكتين في حديث جاد. وما كاد هربرت يبصره حتى ابتدره قائلاً: الآنسة وست ذكرت كلاماً خطيراً أريد أن أسمع منك تأكيداً أو نفياً له. لقد فهمنا أن صديقنا نزيل الغرفة العليا هو بروس رانسوم الممثل، فهمنا هذا وتقبلناه، لكن الآنسة وست تذهب إلى أبعد من هذا. إنها تقول إن السفاح روجر بولاي موجود في أولد بريدج وإن رانسوم ما جاء إلى هنا إلاّ لاقتناصه، فهل هذا صحيح يا سيد فوستر؟

- نعم، هذا صحيح.

قالت دافني تخاطب دنيس وقد لمعت عيناها: معنى هذا أننا ظلمنا السيد رانسوم. لكن أين الدليل على هذا كله؟

في هذه اللحظة تدخل صوت يقول صاحبه: هل تسمحون لي أن أرد على هذا السؤال؟

كان المتكلم هو السير هنري مريفال الذي دخل في هذه اللحظة بهيئته العجيبة، وقد أدنى مقعداً وجلس على مقربة منهم. فهتف جوناتان هربرت: مريفال؟ مريفال؟ لم أعرف أنك هنا.

- معذرة، لقد تكتمت وجودي، نزلت في فندق الإوز الذهبي في أولد بريدج.

- نحن في ورطة يا صديقي. لقد تبين أن السفاح المزعوم

هو رانسوم، ودافني تحبه. ماذا كنت تقول عند دخولك الآن؟

فجعل هنري مريفال يقول بصوت سمعه جميع الحاضرين:
كنت أتكلم عن روجر بولاي. إن بولاي قد دفعه الغرور إلى تأليف مسرحية عن تاريخ حياته وأرسلها إلى رانسوم، ورغبة في إبعاد الشبهة عن نفسه وقعها باسم مستعار وأعطى عنواناً زائفاً وأرسلها بالبريد من لندن، لكن الأبله وضع المسرحية في غلاف يحمل هذا الشعار «مشرب الشاي القديم، أولد بريدج».

في هذه اللحظة تذكر دنيس أنه شاهد هذا الغلاف مثنياً في درج المكتب بغرفة رانسوم بالفندق مع الصفحات الأخرى المكتوبة على الآلة الكاتبة، وفي هذا كله أكبر الدليل على أن بروس لم يذكر سوى الحقيقة. ذلك بينما استطرد السير هنري يقول: إن رانسوم لم يكن في حاجة إلى ذكاء خارق لكي يستنتج أن مؤلف المسرحية موجود في أولد بريدج أو قريب منها، وقد صح استنتاجه. بولاي موجود هنا، وهذا ما يسبب جنوني، أنا وصديقي المفتش ماسترز.

فقالت بيريل وقد فطنت إلى معنى خفي وراء لهجته: وما سبب هذا الجنون؟

- أعتقد أنا وصديقي المفتش أن بولاي قد ارتكب جريمة جديدة.

خيم سكون عميق في البهو، ولم يتمالك هربرت أن هتف وهو يضع يده على ابنته (وكأنما ليحميها): في أولد بريدج؟ هذا شيء مروع! ومن القتيل؟

- فتاة تدعى ملدريد ليونز. لقد كانت قادمة إلى هنا للتعرف على روجر بولاي، لكنها كانت محتاطة، فقد كتبت إلى الشرطة المحلية تقول إنها إذا لم تتصل بهم تليفونياً حتى الساعة الخامسة مساء اليوم فعليهم أن يبحثوا عن السر الخطير.

- وهل ثبت أنها قُتلت فعلاً؟

- نحن لم نعثر على جثتها، لكن بولاي أخصائي في إخفاء الجثث، ومن توجد عنده الجثة سيكون موقفه عسيراً!

شعر دنيس بقلبه يكف عن الحركة. إن كل ما قاله السير هنري يثبت براءة رانسوم بصورة قاطعة، وهكذا قال فجأة: أصغِ إليّ يا سيدي. لقد أخبرنا بروس أنه تحدث معك، فهل هذا صحيح؟

- نعم يا بني.

- وهل بروس بريء إذن؟ ألست مطلعاً على كل ما فعله؟

فأجاب العجوز بعد تردد يسير: هو ذلك يا بني، أنا مطلع على كل أفعاله.

- انتظر هنا إذن، انتظر دقيقة واحدة.

واندفع دنيس إلى ناحية الدرج قبل أن يتفوه أحد بكلمة. وما كاد يصل إلى غرفة بروس حتى دفع بابها وناداه بأعلى صوته، ولكنه رأى الباب الموصل إلى غرفة النوم والباب المؤدي إلى الدرج الخشبي مفتوحين. واسترعى نظره وجود ورقة مثبتة في أعلى الآلة الكاتبة وقد طُبع عليها اسمه بحروف كبيرة.

فانقض عليها وقرأ فيها هذه الكلمات:

"آسف يا بني، لم أستطع الانتظار أكثر من ذلك. سأحاول إتمام المهمة بنفسي. بروس".

كان معنى هذا أن بروس قرر أن يقود السيارة بنفسه رغم أنه لا يعرف عن القيادة إلاّ بعض المعلومات العامة، وفي هذا -ولا ريب- كارثة محققة. وهكذا اندفع دنيس إلى الشرفة ومنها إلى الدرج الخشبي، فوقع نظره في اللحظة الأخيرة على سيارة دافني وقد راح بروس يندفع بها متخبطاً في الطريق المؤدي إلى أولد بريدج حتى غاب عن الأنظار.

وقف دنيس مكانه جامداً مذهولاً وهو يتوقع أسوأ النتائج، وفي هذه اللحظة شعر بالضوء يغمر غرفة النوم، ولما استدار رجع خطوتين، فقد أبصر السير هنري واقفاً في الباب الموصل بين الغرفتين يدخن سيجاره الضخم، ولما رآه قال له: ألا يحسن أن تخبرني بما يحدث هنا يا بني؟

* * *

الفصل الرابع عشر

قال دنيس بلهجة اليائس وهو يغلق باب الشرفة: أخبرك بما يدور هنا؟ لست أفهم قصدك!

فقال العجوز وهو يشير إلى بعض مشابك الشعر التي سقطت من الجثة أثناء نقلها: آه يا بني! إن ملدريد ليونز كانت في طريقها لمقابلة رانسوم، وإذا كان السفاح الأكبر قد اقتنصها...

لم يجد دنيس فائدة من الإنكار، وهكذا عاد مع السير هنري إلى غرفة جلوس رانسوم وقص عليه كل شيء. فلما فرغ قال العجوز مزمجراً: هكذا يهرب رانسوم من هنا في سيارة لا يمكنه قيادتها، وهو بهذا عرضة للاصطدام أو الوقوع في أيدي الشرطة! لكن أين يذهب بالجثة؟

- لا أعرف، لكنه قال إن بإمكانه إخفاءها في مكان لا يعثر أحد عليها فيه حتى ولو فتش عنها.

- يا للعين!

أبدى دنيس قلقه من وقوف المفتش ماسترز على هذه التطورات الأخيرة في صدد الجثة مما قد يؤدي إلى اضطهاد رانسوم

بلا مبرر، فضحك العجوز وطمأنه بأنه يعمل مستقلاً عن هذا المفتش الذي تكبر عن طلب المساعدة منه منذ أحد عشر عاماً، وأردف قائلاً: وهناك سبب آخر يجعلني أضن بمعلوماتي الآن على ماسترز، هو عدم وقوفي على جميع الحقائق. فمثلاً، أنا أعرف ماذا حدث لزوجة بولاي الرابعة التي اختفت في توركاي، وأعرف كيف اختفت. ولكن ماذا حدث للزوجات الثلاث الأخريات؟

- وكيف عرفت أن روجر بولاي موجود هنا فعلاً؟ أكان هذا بعد أن أفضى إليك بروس بما لديه عن تلك المسرحية؟

- عرفت من هذا، ومن شيء آخر كنت اكتشفته بنفسي جعل شعر رأسي القصير يقف عن آخره.

وتقدم فجأة إلى درج مكتب بروس وأخرج منه الصفحات المكتوبة على الآلة الكاتبة والغلاف الذي يحمل اسم مشرب الشاي القديم ووضعها بجانب الآلة الكاتبة. ووقف لحظة ينظر إلى رسالة بروس التي ما زالت مثبتة في أعلى هذه الآلة، واستغرق في تفكير طويل حتى اضطر دنيس لأن ينبهه إلى وجوده. فأفاق قائلاً: أعتقد أنه قد آن الأوان لإطلاعك أنت وصديقتك على بعض الحقائق يا بني. لعلك تذكر أني قلت لكم منذ البداية أنكم لا تعرفون ما هي حقيقة المشكلة التي تواجهكم، وهذا ما جعلكم جميعاً توجهون بحثكم في الطريق الخاطئ.

ثم استطرد فجأة بلهجة الجد والخطورة: إن بولاي قد جن جنونه هذه المرة، وإذا لم نعمل بجد على حل كل ما سبقها فإن ضحيته التالية قد تكون دافني هربرت.

ومن عجب أن الباب فُتح في هذه اللحظة ودخلت دافني نفسها وكأنما تجسدت لدى ذكر اسمها. هرعت الفتاة إلى دنيس وأمسكت بيديه قائلة: سيد فوستر، أين بروس؟

لم يدر كيف يجيب، فقالت الفتاة مرة أخرى: هل هو... هل استعار سيارتي؟ لقد اختفت. إن بروس لا يعرف القيادة، وأبي يبلغ الشرطة تليفونياً الآن عن سرقة سيارتي.

فقال دنيس يخاطب العجوز وقد ساءه هذا التصريح: أين ماسترز؟

- سيكون هنا بين لحظة وأخرى. اسمعي يا فتاتي، عودي إلى الأسفل وقولي لوالدك أن يسحب بلاغه للشرطة وإلاّ ترتب على ذلك نتائج خطيرة.

فقالت الفتاة بضحكة عصبية: أعتقد أن أبي لا يزال يؤمن في قرارة نفسه أن بروسٍ هو روجر بولاي. وهذا بعيد عن الواقع، أليس كذلك يا سيد فوستر؟

- كل البعد يا آنسة، ولك أن تطمئني بعد أن سمعت كلام السير هنري.

فقالت الفتاة وهي تضغط على يديه بحرارة أثلجت صدره: شكراً لك، سأنزل لكي أفعل ما طلبتم.

وانسحبت الفتاة على الأثر، لكنها لم تكد تبتعد حتى جاءت بيريل في إثرها وقالت في إعياء: يا إلهي! لقد عملت برأي بروس وحجزت الأب والفتاة أطول مدة ممكنة، لكن لكل شيء نهاية. هل صحيح أن بروس أخذ السيارة؟

- نعم.

- يا للأحمق! إنه سيقتل نفسه.

وفي هذه اللحظة فُتح الباب وأقبل الاسكتلندي ماكفرجوس مدرب الغولف، فقال له العجوز: أين كنت يا بني؟

- كنت أحمل حقيبة مضاربك إلى الفندق، فهل تظن أنني خادمك حتى أقوم بهذا العمل؟

- اجلس هنا وكفى ثرثرة.

فأذعن مدرب الغولف وهو يهمهم ويدمدم، بينما التفت العجوز إلى دنيس واستطرد قائلاً: كنت أفكر -يا بني- في موضوع الجرائم الثلاث الأولى، موضوع الزوجات الثلاث اللاتي اختفين! لعلك تذكر من سياق التحقيق أن إحداهن اختفت في ضاحية كروبورو، والثانية في دنهام، والثالثة في سكاربورو؟

- نعم، أذكر. وما صلة هذا بالموضوع؟

- إن الصلة المشتركة التي تجمع هذه الأماكن هي أن كلاً منها فيها ملعب غولف ممتاز.

ثم التفت إلى ماكفرجوس الاسكتلندي وقال له: سألقي عليك -يا بني- سؤالاً هاماً قد تتوقف عليه حياة إنسان. وهذا السؤال: هل يمكنك إخفاء جثة في أرض ملعب غولف؟

قابل الاسكتلندي هذا السؤال بضحكة تنم عن الشماتة والانتصار، لكنه أجاب بمحاضرة طويلة مؤداها أن إخفاء جثة في أرض ملعب غولف شيء لا يمكن أن يتم دون أن تتخلف آثار

تدل على حفر وتنقيب أو دوس أقدام.

ومن عجب أن العجوز تلقى هذا البيان مدحوراً، ولم يتمالك أن يمم شطر المدفأة يائساً ووقف يفكر مطرق الرأس، ثم قال في النهاية: لا حيلة لنا في الأمر. سيضطر ماسترز الآن إلى القبض على الممثل الكبير لمنع وقوع أضرار في الوقت الحالي، ثم يطلق سراحه في خلال بضعة أسابيع على الأكثر!

وفجأة ركز العجوز نظراته في شيء كان في ركن الغرفة حتى حملهم جميعاً على أن يتابعوا نظراته. ولما لم يشاهدوا أمامهم شيئاً سوى (روب) رانسوم الحريري ملقى على ذراع مقعد لم تتمالك بيريل أن هتفت قائلة: ماذا هناك؟

قال العجوز بعد صمت طال مداه: سنضع أيدينا عليه، سنضع أيدينا عليه بالتأكيد!

* * *

الفصل الخامس عشر

استيقظ دنيس من نومه العميق على صوت يناديه بإلحاح، ولما فتح عينيه رأى بيريل واقفة عن كثب منه وهي مرتدية (الروب) فوق (البيجاما). قالت له: أنا في أشد الأسف لإيقاظك يا دنيس، لكني كنت مضطرة.

ولما استرد دنيس حواسه تذكر أنه نائم في غرفة الكابتن رينويك صاحب الفندق لعدم وجود حجرة أخرى ينزل بها. وقد فعل هذا مضطراً بعد أن لبثوا ينتظرون عودة بروس حتى منتصف الليل دون جدوى.

- ماذا جرى يا بيريل؟

- لقد رأيت رانسوم منذ أقل من عشر دقائق.

- أين؟

فهتفت الفتاة وهي تحاول حبس الدموع في عينيها: لقد تسلق الأحمق نافذة غرفة نومي، وإن لم يكن هناك سبب يمنع حضوره من الباب! وقد أيقظني وقال لي...

- وأين هو الآن يا بيريل؟

- لقد ذهب مرة ثانية.

- وهل أخبرته أن جميع رجال الشرطة يبحثون عن تلك السيارة اللعينة وأنهم -وإن كانوا لا يتهمونه الآن بشيء- إلاّ أنهم سيشددون عليه النكير إذا لم يقدم نفسه حالاً؟

- لا، لم أقل له هذا. لم أفكر في شيء من هذا القبيل، والسبب أنه يحبني.

وجلست على حافة الفراش وحجبت وجهها بيديها وأجهشت بالبكاء، حتى كانت الدموع تنحدر من بين أصابعها.

وتركها دنيس تبكي حتى هدأ روعها قليلاً، وفي النهاية سألها: وماذا قال لك بروس؟ أم أن هذا السؤال محرج؟

- لا إحراج منك يا دنيس. لقد أمسك بمنكبي وقال لي: "أنت وأنا ملك لبعضنا البعض. نحن روح واحدة في جسدين، وسأخبرك كل شيء فيما بعد". ثم تركني وذهب كما جاء، والفجر تبدو خيوطه.

- ألم يقل لك شيئاً آخر يا بيريل؟ ألم يقل أين كان وماذا كان يصنع؟ أو أي شيء من هذا القبيل؟

- كلا، لم يزد على ذلك سوى تلك الضحكة التي عرفناها، خصوصاً عند ذكر الأسماء التي تُقرأ معكوسة.

- وماذا... ماذا عن دافني هربرت؟

قالت بيريل وهي ترفع يديها عن وجهها وتتكلم بحماس شديد: إنه لم يحبها قط! لقد تأكدت أنه لم يحبها، كنت أعلم

طول الوقت أنه كان يمثل دوراً معيناً، وكل ما هناك أنه اعتاد -لفرط اندماجه في التمثيل- الاعتقاد بأنه جزء من الدور الذي يمثله فعلاً، وهذا سر توهمه أنه يحب دافني!

وصمتت بيريل لحظة ثم تابعت تقول: ولكي أوفي الفتاة حقها أقول إنها لم تحبه بدورها، وإنما استهوتها شخصيته الغريبة الساحرة، كمن يقع تحت تأثير مغناطيسي.

وجرت دموعها مرة أخرى، فقال لها دنيس: رفقاً يا عزيزتي، أنت الآن سعيدة، أليس كذلك؟

- كل السعادة، وهذا هو سبب بكائي المستمر.

ونهضت قائمة، ثم قالت بعد فترة: سأخرج الآن من غرفتك يا عزيزي قبل أن يدور اللغط عنا في الفندق! أحببت فقط أن أقول لك إني ما عدت أتأثر لأي شيء يجدّ في المستقبل.

وانسحبت الفتاة وهي تضغط على يده في نشوة بادية.

وما أن وضع دنيس رأسه على الوسادة مرة أخرى حتى استغرق في نوم عميق تخالطه الأحلام المضطربة. ومرة أخرى استيقظ على صوت يناديه بإلحاح، وكان القادم هذه المرة هو الكابتن رينويك صاحب الفندق الذي أخبره أن الساعة قد جاوزت العاشرة صباحاً، وطلب إليه أن يلحق به مسرعاً إلى غرفة رانسوم.

ولما وصل إلى غرفة بروس وجد رينويك ينتظره مع بيريل، وقال له صاحب الفندق وهو يشير إلى الفوضى الضاربة أطنابها في الحجرة: انظر حولك يا سيد فوستر! انظر ثم قل لي إن كان

الموقف يمكن احتماله أكثر من ذلك؟

فقد استهدفت الغرفة لعدوان شنيع لم يبق فيه شيء من أثاثها على حاله، فالمقاعد المحشوة ممزقة بمطواة تمزيقاً ذريعاً، ومضارب الغولف محطمة عن آخرها، والمكتب مقلوب رأساً على عقب حتى تناثرت أوراقه وكست أرض الغرفة، والآلة الكاتبة مهشمة تماماً حتى لم يبق منها سوى قطع ملتوية أي التواء.

ورغم ذلك بدت بيريل لعيني فوستر غير منزعجة كثيراً لهذه التطورات، بل إنها كانت مشغولة بشيء آخر أهم في نظرها من هذا العدوان على أثاث الغرفة. إذا قالت بعد أن أعربت عن مواساتها لصاحب الفندق: إنها النسخة.

- أية نسخة؟ لم أفهم قصدك يا آنسة!

فتقدمت إلى المكتب المقلوب وجذبت درجه، فوجدته خاوياً. فقالت لصاحب الفندق: لا تقل إنك لم تفهم يا رينويك وجميع من بالفندق كانوا يتحدثون عن هذا في الليلة الماضية. إن رانسوم كان عنده جزء من النسخة الأصلية لمسرحيته يثبت أن شخصاً ما يعرف الكثير عن روجر بولاي، والآن قد ضاع هذا المستند.

- وهل كان السيد رانسوم يحتفظ بالنسخة أو المستند في هذا الدرج؟

- نعم.

- مفهوم، ومن كان يعرف أنه كان يحتفظ بها في الدرج؟

وقبل أن يجيب أحد فُتح الباب الخارجي ولاح لهم جوناتان هربرت تصحبه زوجته. كانت ملامحها تدل على وقوع حادث جسيم، وقد قال هربرت وهو يطوق خصر زوجته مواسياً: لقد خطر لنا أنه ربما كان بوسعكم مساعدتنا.

فخف إليه صاحب الفندق وقال منزعجاً وقد نسي بلواه: ماذا حدث أيها الصديق؟ ماذا حدث؟

فبلل هربرت شفتيه قبل أن يقول: لقد هربت دافني مع بروس رانسوم.

* * *

الفصل السادس عشر

كانت بيريل أول المتكلمين، إذ هتفت قائلة: لا أصدق هذا!

فقال هربرت لزوجته: أريهم يا عزيزتي، لقد أصبح الموضوع الآن ملكاً للجميع.

ففتحت كلارا حقيبة يدها وأخرجت منها ورقة مثنية تناولها فوستر وقرأ فيها ما يلي:

"والديّ العزيزين، أنا ذاهبة مع رانسوم. إنني أحبه، هذا شيء طبيعي، سأشرح لكما كل شيء فيما بعد. دافني".

قالت كلارا: الخادمة شاهدتهما وهما يبتعدان في الحديقة، وكان السيد رانسوم يحمل حقيبة ابنتي. وقد ركبا السيارة التي فقدت بالأمس وابتعدا بها.

فقال دنيس وهو لا يصدق ما سمعه: هل يمكن أن أعرف متى حدث هذا؟

بعد الفجر بنحو ساعة، والأدهى من هذا أن الشاب وضع سلماً تحت نافذة دافني لكي تنزل من غرفتها، تماماً كما يحدث في القصص، إنه...

لكن دنيس كان يلعن رانسوم في سره. لماذا إذن ذهب ذلك اللعين إلى بيريل قبل ذلك مباشرة؟ كان الأفضل لو أنه قتلها وقتها بدل أن يُسمعها ذلك الكلام المعسول ثم يدعها تقف الآن على هذه التفاصيل المخزية.

والتفت هربرت إلى دنيس وناشده أن يخبره إن كان يعرف شيئاً عن المكان الذي يحتمل أن يقصد إليه رانسوم، وهل هو على موعد في لندن أو شيء من هذا القبيل. فنفى علمه بشيء من هذا.

ولكن بيريل تطوعت للمساعدة بحماس، فقد انحنت فجأة والتقطت نسخة مجلة «راديو تيمس» من حيث كانت ملقاة على الأرض بين الأوراق المتناثرة. وبعد أن قلبت صفحاتها فترة راحت تقرأ بصوت مسموع: "السبت، الإذاعة المسرحية. من التاسعة والربع إلى العاشرة والنصف، بروس رانسوم في دور الكابتن كانتروث".

فغمغم هربرت قائلاً: الليلة! هذا هو المطلوب. يمكنك أن تذهبي معي يا كلارا إلى لندن، لكن عديني ألا تحاولي التدخل.

- جوناتان، أرجو ألا تتهور! أنا معتمدة على حكمتك.

- اطمئني يا كلارا ودعيني أتصرف، سأعامل بولاي كما يجب أن يعامل بولاي. شكراً لكم أيها السادة.

وانصرف الزوجان يتعثران في خطاهما، وبقي الثلاثة في الغرفة صامتين. وقبل أن يهم دنيس بالكلام لمعاتبة بيريل على تصرفها دق جرس التليفون، فأسرع الكابتن رينويك إلى السماعة

وأنصت لحظة ثم وضعها مكانها قائلاً: إن السير هنري مريفال في غرفة التدخين في الأسفل، وهو يريد أن تنضما إليه لأمر مهم.

كانت تلك الدعوة كنجدة نزلت من السماء. وسرعان ما نزل دنيس وبيريل إلى غرفة التدخين تاركين صاحب الفندق وحده.

كانت غرفة التدخين رحبة، وفي أقصاها ركن مستقل يشبه غرفة صغيرة جلس فيها السير هنري مريفال والمفتش ماسترز منهمكين في حديث جاد، وما كادت كلماتهما تصل إلى سمع دنيس حتى وقف مكانه واستوقف بيريل بحيث كان بوسعهما الاستماع إلى الحديث دون أن يفطن إليهما أحد.

كان المفتش ماسترز يقول للعجوز متبرماً: أعترف أن النقط التي ذكرتها لي بالأمس فيها عون كبير، لكني لا أفهم مرادك عندما تقول إننا متى تأكدنا من وجود بولاي في أولد بريدج أو قريباً منها فسنجد أمامنا آثاراً واضحة ترشدنا إلى مكانه وإلى الشخصية التي تقمصها.

- أصغ يا ماسترز. لنفرض إنك روجر بولاي، لقد انقضت إحدى عشرة سنة وارتكبت ما نسميه جريمتك الرابعة، مفهوم؟

- حسناً يا سيدي. وبعد؟

- وفي خلال ذلك تمّ نضجك وكملت مقومات شخصيتك.

- مهلاً يا سيدي، لست أفهم إلى ما ترمي إليه بهذا التعبير.

- إذن فاسمع يا بني. لقد كنت في صباك تعاني من مركب نقص شنيع حيال النساء، ثم اختلف الموقف وأنت في منتصف العقد الثالث من عمرك، وعندما وصلت إلى لندن هارباً من جامايكا ولا مورد لك. إن هذه الحالة ليست غريبة يا ماسترز، فكثيرون من الشبان من طراز دون جوان، لم يقعوا في تجربتهم الغرامية الأولى قبل السادسة والعشرين. وشيئاً فشيئاً تدرك مبتهجاً أن النساء هن فريستك الطبيعية، بل ترى أن الأمر لا يقتضيك إلاّ أن تهز الشجرة فيتساقطن منها كالتفاح الناضج. والنتيجة يا ماسترز؟ بهجة ومورد للعيش لا ينضب، وثقة بنفسك تزيد وتطّرد مع الأيام. وهنا لا تلبث أن تكشر عن أنيابك، وهنا تتلذذ، لمجرد التلذذ، بخنق فتيات مثل أندريه كوبر لإظهار سلطانك على جنس المرأة كله. هكذا تتطور نظرتك إلى نفسك يا ماسترز. تراك عبقرياً في هذا المضمار، تغرر بالنساء الآمنات وتستغفل الشرطة، لكن اللعبة لا تلبث أن تصبح محفوفة بأشد المخاطر وليس ثمة ضرورة تحتم عليك الاستهداف لهذا الخطر. وإذن، بعد أن تهزأ بالشرطة في حادث أخير تعمل على الاختفاء عن الأنظار ولا تعود إلى الظهور إلاّ بعد قتل ملدريد ليونز. والآن أسألك يا ماسترز: ماذا تفعل وهذا موقفك؟

لم يسمع دنيس وبيريل من مكانهما سوى زفرات صدرت من المفتش فيما رد عليه السير هنري مريفال: هذه هي الحقائق كلها ماثلة أمامك يا بني، فهل تدرك تفسيرها ومدلولها؟

ولم يجب ماسترز بشيء، ثم لاحظ الشاب والفتاة فقال: هل كنتما تنصتان إلى هذا الحوار اليسير؟

فأجاب دنيس: نعم يا سيدي، دون أن نفهم منه الكثير مما ينير لنا الطريق.

- تعاليا إلى هنا.

وهكذا انضم الشابان إلى المجلس. وسأل دنيس العجوز بلهجة اليأس: ما دمت تريد أن تخبرنا بشيء فربما يهمك أن تعلم أن دافني قد هربت مع بروس رانسوم.

- أعرف هذا يا بني.

وصرخت بيريل بدورها: وأكثر من هذا أن شخصاً ما قد سطا على غرفة رانسوم في الليلة الماضية ومزق محتوياتها إرباً.

- أعرف هذا أيضاً.

- لكن إذا كنت تعلل النفس بإثبات نتيجة ما عن طريق تلك الصفحات المأخوذةِ من نسخة المسرحية الأصلية فلن تنجح في ذلك، فإن بعضهم سرقها.

أخرج العجوز من جيبه أوراقاً لوح بها قائلاً: لقد أخذت تلك الصفحات -يا فتاتي- قبل خروجي من الغرفة في الليلة الماضية.

ثم رد الأوراق إلى جيبه وقال: إنها على كل حال دليل إضافي، لكنها لا تكفي لإدانة بولاي بتهمة القتل. وهذا ما جعلني أطلب حضوركما الآن إلى هنا.

وصمت لحظة ثم راح يقول: إنني ذاهب في مهمة خاصة عصر اليوم وحدي، فهل تحبان أن تصحباني؟ لكن للمهمة بعض الجوانب غير المستحبة.

- وكيف ذلك؟

- لأن الموقف سيقترن بأشد المخاطر عندما يقع روجر بولاي في الشرك، إنه لن يتقبل هذا باسماً، فهل تحبان مرافقتي رغم هذا التحذير؟

وقبل أن يجيب الشابان دوى صوت الرعد قاصفاً مجلجلاً نذيراً بعاصفة عاتية.

* * *

الفصل السابع عشر

كانت رحلة شاقة محفوفة بالأخطار تلك التي استهدف لها دنيس وبيريل في السيارة البوليسية التي كان يقودها السير هنري مريفال وحده. وضاعف من خطورة الرحلة أنها كانت في صميم العاصفة التي بدأت عقب الغداء، واشتد ثورانها حتى كان السير في المطر المنهمر وتحت السحب السوداء التي أحالت النهار إلى ظلام مهمة كريهة يتحاشاها كل إنسان.

ومما زاد في بلبلة أفكار الشابين أنهما لم يستطيعا التكهن بالوجهة التي يقصدون إليها ولا بالطريق الذي يسلكونه. وأخيراً، وبعد مسيرة أميال في مناطق مقفرة شديدة الوعورة، وقفت بهم السيارة أمام مبنى مهجور.

والتفت إليهم السير هنري قائلاً: اسمعي يا فتاتي، أصغي جيداً لما أقول. في خلال دقائق ستواجهين سلسلة من الحوادث التي لا يمكن أن تفهميها قط، لكن لن يكون فيها ما يضرك. وأريد الآن أن تعديني أنك لن تقابلي هذه الحوادث بالصراخ أو الوثب أو أي شيء من هذا القبيل، فإن لم يكن هذا بإمكانك فلكِ أن تبقي هنا حتى نعود. ما رأيك؟

- أعدك.

- لا بأس، انزلا الآن من السيارة واتبعاني.

سارا خلفه والمطر الغزير يكاد يعمي أبصارهما حتى بلغوا مدخل المبنى المهجور، فقال العجوز: هذا هو المكان الذي سندخله.

قالت بيريل: لا أحد في الداخل؟

- لا أحد حتى الآن، أو هذا ما أرجوه.

وتعثرت قدم دنيس فجأة في صندوق غارق في الماء والوحل، ولما انحنى فوقه ليتبينه عرف فيه صندوق ذخيرة. وتكرر هذا الاكتشاف بين خطوة وأخرى، وتقدمهما العجوز وصعد درجاً حجرياً، فدفع الباب وأشار إليهما أن يتبعاه.

وبعد لحظة كان ثلاثتهم يسيرون في ممشى مظلم شديد الرطوبة أفضى بهم إلى حجرة مربعة ليس فيها من الأثاث سوى ثلاثة مقاعد خشبية ومائدة قرب إحدى النوافذ. وفي ومضة خاطفة من البرق لاح لهم هيكل ضابط ألماني بخوذته ومسدسه يثب قائماً خلف النافذة. وكادت بيريل تصرخ رعباً لولا أن وضع دنيس يده على فمها!

قال العجوز مشفقاً: اطمئني يا فتاتي، هذا هيكل خشبي للتدريب. ولا ذنب لي إذا تحرك الآن، فإن شخصاً ما يعبث باللولب الذي يحركه.

ولم تمض لحظة حتى اختفى الهيكل! فقال العجوز مفسراً:

هذه الهياكل مصنوعة من الخشب ومشدودة بحبال وبكرات. إن المنزل مملوء بها، وسترين أسوأ من هذا. إن هذه المنطقة كانت لمسافة أميال بمثابة مدرسة للتدريب الحربي، وهذا البيت واحد منها!

فلم يتمالك دنيس أن تمتم قائلاً: مدرسة للتدريب الحربي؟ إن رانسوم ذكر فعلاً...

فقال العجوز ساخطاً: هل ذكر رانسوم هذا؟ ونسيت أن تخبرني؟

فأجاب: نعم، بكل أسف.

وشرح لهما العجوز الهدف من هذه المدارس فقال إنها أشق أنواع الاختبار لأعصاب الجندي المبتدئ، إذ يُعطى كل جندي -عند دخوله البيت- خمس عشرة رصاصة ويقال له إن مثل هذا العدد من جنود العدو كامنون في أرجاء المنزل وعليه أن يصرعهم برصاصاته عن آخرهم.

وهكذا يأخذ الجندي في الزحف حيث تثب عليه هياكل الجنود الألمان من كل ركن، فيعالجهم برصاصة بين قصف المدافع الرشاشة وانفجار القنابل اليدوية من أيدي المشرفين على التدريب. فإذا نفدت رصاصات الجندي قبل أن يقضي على العدو فهو جندي ضعيف الأعصاب لا يصلح للحرب في الميدان.

ودعاهما العجوز إلى النزول إلى القبو لتكملة قصة التدريب الحربي، فلم يجد الشابان سبيلاً إلى الامتناع. فسارا معه مرة أخرى في الممشى المظلم الرطب وفي ذهنهما هذا السؤال المحير:

ما هي العلاقة بين اعتقال بولاي وهذه المدرسة المهجورة الحافلة بأسباب الرعب؟ لكنهما آثرا الصبر وانتظار ما تتمخض عنه الأحداث.

كان القبو في نهاية الممشى أسفل الدرج، ولم يكن مدخله سوى فجوة واسعة مظلمة. ولم يدرِ دنيس كيف يطمئن الإنسان إلى لقاء شخص مثل بولاي في الداخل، ولذا قال للعجوز: نريد أن نعرف سلفاً ما الذي سنراه الآن؟

- تمثال.

- أتعني مثل هذه الهياكل الخشبية للألمان؟

- كلا، بل تمثال إنسان كامل محشو بالقش تكسوه الملابس، أريد أن تبصراه الآن حتى تعتادا عليه فيما بعد.

- فيما بعد؟ وهل سنمكث هنا طويلاً؟

- ربما!

وأضاء العجوز بطاريته وهبط أمامهم سلماً خشبياً ينتهي إلى باب قائم إلى اليسار. ووقف العجوز عند نهاية السلم وأرسل ضوء البطارية من خلال الباب، فوقعت أنظارهم على غرفة واطئة ذات نوافذ عالية مشبكة بالقضبان، وكان للغرفة باب آخر يفضي في الظاهر إلى غرفة أخرى أصغر من تلك وبها سلم يوصل إلى خارج البيت.

ولكن أرهب ما رأته أعينهم كان ذلك الهيكل البشري المعلق بحبل رفيع إلى السقف، وكان ظهره إلى ناحيتهم. وقال

العجوز في تفسير وجود ذلك الهيكل البشري المعلق أنه متمم لاختبار الأعصاب الذي يستهدف له الجندي المبتدئ.

ولكن دنيس استرعى نظره في الهيكل المعلق ما جعله يتقدم خطوة إلى الأمام ليدقق النظر، فإذا هو إزاء جثة امرأة يعرف ملامحها جيداً، وإذا بيريل بدورها تكتم بجهد تلك الصرخة العنيفة التي كادت تفلت منها.

وعند ذلك قال السير مريفال بهدوء: نعم، هذه جثة ملدريد ليونز.

* * *

الفصل الثامن عشر

قال العجوز: لنعد إلى الأعلى. كان لا بد أن أريكما هذا، لكن لنبتعد الآن عن هذا المشهد.

ولما عادوا إلى الغرفة العليا استطرد السير هنري يقول: إن ماسترز طلب مني ألا أجيء بكما إلى هنا، وربما كان على حق، فهناك مناسبات لا يستطيع فيها حتى الرجل العجوز أن يتمالك أعصابه.

ولم تتمالك بيريل أن هتفت برغمها: بروس هو الذي وضع تلك الجثة مكان الهيكل المعلق؟

- هذا صحيح.

والتفت إلى دنيس قائلاً: وقد صدق رانسوم -يا بني- عندما قال إنه سيخفي الجثة في مكان لا يستطيع أحد أن يعثر عليها فيه، حتى لو فتش عنها. إنه يعرف (ككل إنسان هنا) كل شيء عن «بيت الرعب» هذا، ولذلك كان الناس يتجنبونه.

فقالت بيريل بلهجة الاستعطاف: لكن لماذا فعل بروس هذا؟

- حسناً، إن هذا جزء من القصة، ولا مفر من أن أحدثكما عن روجر بولاي.

ولما صاح دنيس قائلاً إنهم قد سئموا التلميحات والإشارات الغامضة التي لا تشفي غليلاً بادر العجوز قائلاً: لقد انتهى وقت التلميحات، وسأحدثكم الآن بالقصة كاملة.

وجلس العجوز في مقعد وأشعل سيجارة وراح يقول: إن اتجاه البحث والتحري كان خاطئاً من أوله. لقد سمعتماني صباح اليوم -وأنتما تسترقان السمع- أصف شخصية بولاي. لقد سمعتما كيف اكتشف هذا المخلوق بعد إقصائه من موطنه الأصلي واستقراره في لندن أن النساء هن فريسته الطبيعية، وكيف ركبه الغرور وعادت إليه ثقته بنفسه، ثم كشر أنيابه وتلذذ بقتل كوبر. وكان ذلك أول عهد الشرطة بالالتفات إليه، فقد عرفت الشرطة أنه اقتنص هذه الفتاة المليئة بالجاذبية وابتاع لها الثياب وصحبها إلى ضاحية سكاربورو في يوركشير، حيث أقام معها في فيلا منتحلاً اسم ريتشارد باركلاي. وفي هذا المكان قتلها. واشتكى صديقها للشرطة التي بدأت بمطاردته. ومع شدة احترامي له، فعندما يختفي شخص ما بعدما شوهد في صحبة إنسان معين وفي مكان محدد توقن الشرطة أن الجثة لا بد أن تكون مخبأة في هذا المكان أو قريباً منه، وهكذا ينقبون في أرجاء المكان بحثاً عن الجثة ولا يكفون حتى يتبينوا أن الجثة غير موجودة فعلاً.

وأخلد السير هنري إلى الصمت فترة راح في خلالها ينفث دخان سيجارته، ثم استأنف حديثه قائلاً: لا تنسيا أن هذه البيانات كلها وردت في الصحف، ومما جاء في الصحف أن الشرطة

مهتمة بالبحث عن رجل يدعى روجر بولاي أو روجر بودوين أو ريتشارد باركلي. فماذا يفعل بولاي؟ إنه يذهب بكل سكينة وهدوء، وتحت اسم ر. بندكت إلى ضاحية توركاي بصحبة زوجة جديدة، وهناك يستأجر مكاناً مفروشاً من نفس النوع. ولا تنقضي أيام حتى يعرف أن الفيلا موضوعة تحت المراقبة ليلاً، وهو يعرف أمر هذه المراقبة عندما يخنق زوجته، وفي الغرفة التي تُرتكب فيها الجريمة توجد فرجة بين ستائر النافذة يتيسر منها مشاهدة ما يدور في الداخل. وفي صباح اليوم التالي نراه يخرج من الفيلا مرتدياً قبعته ومعطفه الواقي في يوم معتدل الطقس، وكأنما يريد الإيحاء بأنه ينوي الرحيل والاختفاء! إن هذا المسلك من جانب بولاي (الذي أوحى به إلى الشرطة أنه قد قتل تلك المرأة وتخلص من جثتها بداخل الفيلا) هو مسلك محير لا يقبله عقل، اللهم إلاّ إذا كان هذا ما أراد أن يعتقده فعلاً.

وهنا لم يتمالك دنيس أن حملق في العجوز قائلاً: مهلاً! إن بولاي يريد أن تعتقد الشرطة أنه ارتكب جريمة جديدة وأنه قد تخلص من الجثة؟

- نعم.

- وما السبب؟

- لأن بولاي، لأول مرة في حياته، يرتكب جريمة ولا يتخلص من جثة الضحية. إنها جريمة زائفة!

وصمت العجوز لحظة ثم استطرد يقول: إذا ثبت هذا فهو ما يريد بولاي أن تعتقده الشرطة بصدد الجرائم الثلاث الحقيقية

التي كانت ضحاياها أنجيلا وإليزابيث وأندريه. لقد أخفى جثثهن في موضع ما بعيداً عن المنزل الذي وقعت فيه كل جريمة من الجرائم الثلاث، ولكن الشرطة لا تلبث أن تكف عن التنقيب عن الجثث في تلك المنازل لتوسع دائرة التنقيب. وهنا الخطر كل الخطر على بولاي. أما إذا وضعت الشرطة في اعتبارها تلك الجريمة الزائفة، فسيكون بولاي آمناً حتى ولو قدم للمحاكمة!

- وما هي الأدلة على أن الجريمة الرابعة كانت جريمة زائفة؟

- هناك أولاً شخصية السيدة بولاي الغامضة التي لم يكن يراها أحد إلاّ نادراً، وحتى رجال الشرطة الذين كانوا يراقبون الفيلا لم يشاهدوها إلاّ عن بعد. ولم يثبت أنها تزوجت في مكان ما، ولم يعرف لها اسم، ولم يكن لها أصدقاء. لقد كان طبيعياً أن يكون لبولاي شريكة تساعده، وهذه الشريكة، التي لعبت دور السيدة بولاي، هي ملدريد ليونز.

- ملدريد ليونز؟! كيف يمكن ذلك وقد كانت هي شاهدة الاتهام في القضية؟!

- لك حق في دهشتك واعتراضك يا فتاتي. لكن فكّري معي في ظروف هذه الجريمة المفتعلة. لقد كانت ملدريد هي الشخص الوحيد الذي روى قصة الرؤية من النافذة، وكانت هي الشخص الوحيد الذي زعم أنه رأى السيدة بولاي عن كثب أو تحدث إليها. وهناك دليل آخر: لا شك أنكما تذكران ليلة أن كنا في الحانة المواجهة لمسرح غرناطة منذ نحو شهر. في هذه الليلة

قال لي ماسترز وهو يقدمكما إليّ أنه إزاء جديد في قضية بولاي، وأن «مؤلفاً مجهولاً قد كتب مسرحية عن بولاي وأن هذا المؤلف يعرف الكثير». وكان قصد ماسترز من هذا الكلام أن المؤلف قد يكون بولاي نفسه، وهو ما ثبت صحته بعد ذلك فعلاً. قال ماسترز إن المؤلف يعرف أن الشاهد في الجريمة الرابعة امرأة، ويعلم أين نظرت، ويعلم ماذا شاهدت، وهي بيانات كان المفروض أنها غير معروفة إلاّ للشرطة ولكما وللفتاة ملدريد ليونز نفسها. وهذه المسألة ستبدو لكم أشد غرابة إذا فحصتم بعض الصفحات في النسخة الأصلية للمسرحية، وقد حرص بروس رانسوم على إخفائها لديه. هل رآها أحدكما؟

فأومأت بيريل إيجاباً وقالت إن بروس أراها تلك الصفحات في الليلة الماضية.

- لقد أراني إياها عندما حضرت إلى أولد بريدج منذ أسبوعين. إن بولاي مؤلف المسرحية، ويعرف أن الشاهدة ذات شعر أحمر، ويعلم أنها ذهبت تلك الليلة لمقابلته بصدد ورقة مالية من فئة عشرة شلنات، بل يعرف أنها قصدت إليه راكبة دراجة. فكيف تسنى له أن يعلم كل هذا؟ إن شيئاً كهذا لا يكون إلاّ إذا كان بولاي وملدريد ليونز يعملان معاً متضامنين لتضليل الشرطة. ولكن، هل كان بوسع ملدريد أن تلعب دورها ودور السيدة بولاي في وقت واحد؟

لقد كان ذلك من أيسر الأمور، لأن ملدريد كانت تعمل وحدها في مكتبها الخاص للنسخ، وكان بوسعها أن تروح وتغدو دون أن يفطن إليها أحد. الشرطة لم تراقب تلك الفيلا سوى ليلاً،

وكان من السهل أن تغادر الفيلا من الباب الخلفي المؤدي إلى التلال المكسوة بالغابات دون أن يراها أحد. بل إنها استطاعت -قبل أن تبدأ الشرطة المراقبة- أن تثبت شخصيتها بوصفها السيدة بولاي في أعين الناس العابرين، مثل موزع البريد وصبي القصاب ومن إليهما. ولم يكن أسهل من إخفاء شعرها الأحمر تحت شعر مستعار والتزين بمجموعة من المجوهرات الثمينة التي جلبها بولاي، وبهذه الصورة يراها الناس، عن بعد طبعاً وهي جالسة في الحديقة مع زوجها وهما يشربان الشاي.

ومتى رسخت دعائم هذه الشخصية فإنها لم تكن بحاجة إلى العودة إلى الفيلا حتى ذلك المساء الحافل من يوم ٦ يوليو، ففي ذلك اليوم خرجت سافرة بصفتها ملدريد ليونز وهي تحمل آلتها الكاتبة فوق دراجتها، ومعلوم أنها لم تكتب رسائل في تلك المناسبة ولا شيء من هذا القبيل. وبعد دخولها الفيلا تظهر للناس في شخصية السيدة بولاي وتتناول الشاي لآخر مرة مع «زوجها»، ثم تخرج في الأصيل وهي ملدريد ليونز كما كانت.

فلما كان الليل حدث ختام المهزلة: لم يكن ثمة ورقة مالية رديئة، وإنما كان ذلك ذريعة لتغطية سبب ذهابها إلى الفيلا بعد ظهر ذلك اليوم وسبب عودتها إلى الفيلا ليلاً، والنتيجة أنها عادت إلى الفيلا فوق دراجتها، ونظرت فعلاً من خلال ستائر النافذة فلم تبصر شيئاً سوى بولاي نفسه.

لقد كانت هذه الخطة البارعة كفيلة بتأمين بولاي نهائياً، فإن الشرطة لن تعرف قط ماذا فعل بجثة ضحيته المزعومة لأنها ستوجه أبحاثها في الوجهة الخاطئة، في دوامة البحث عن جثث

لم توجد قط! ثم من يتصور أن ملدريد، شاهد الاتهام والفتاة التي تستطيع تقديم بولاي إلى المشنقة، يمكن أن تكون شريكته؟

فرغ العجوز من كلامه فخيم صمت رهيب في المكان لم يكن يتخلله سوى تساقط قطرات المطر في الخارج، حتى قالت بيريل في النهاية: لقد سمعتك أمس تقول -وأنت تتحدث مع ماسترز قرب ملعب الغولف- إن أولئك السفاحين لهم دائماً امرأة واحدة يعودون إليها، امرأة يعاشرونها بين جريمة وأخرى. لكنها المرأة الوحيدة التي لا يقتلونها!

- أعترف أنني قد أخطأت في هذا التقدير فقط يا فتاتي، فها هو قد قتلها، لكنه فعل ذلك اضطراراً.

- وكيف ذلك؟

- لقد هجرها هجراً تاماً وقطع صلته بها لمدة أحد عشر عاماً كاملة. وهذا شيء ما كان يجب أن يعمد إليه بعد أن فعلت من أجله كل ما فعلت!

في هذه اللحظة تذكر دنيس ملامح ملدريد وهي تتسلل خارجة من الباب الخلفي لمسرح غرناطة في تلك الليلة، وما كان يرتسم على محياها من أمارات الانفعال ممتزجة بعلامات الخوف والانتصار. وهكذا فهم الآن تفسير ما استعصى عليه فهمه وقتذاك.

وكانت بيريل هي المتكلمة هذه المرة، إذا قالت للعجوز: قل لي يا سير هنري، عندما كنا في الحانة تلك الليلة المعروفة رأيناك تكتب الحرفين الأولين من اسم بولاي فوق المائدة. فلماذا فعلت ذلك؟

- لأني فطنت إلى حقيقة ما يريده بروس رانسوم وعرفت لماذا قرر الذهاب إلى أولد بريدج.

ثم التفت إلى دنيس وتابع قائلاً: لقد أخبرتنا في تلك الليلة كل ما يتصل بموضوع المسرحية وما ينويه رانسوم من الذهاب إلى أولد بريدج، وقد جاء ذلك مؤيداً للفكرة التي استخلصتها لنفسي، من أن كاتب المسرحية هو -في الغالب- بولاي نفسه وأن «جريمة توركاي» ليست سوى جريمة مفتعلة دبرها بولاي وملدريد ليونز. وحين أرسل إلي المفتش ماسترز (بعد ذلك بأيام) الملف المتضمن تاريخ حياة بولاي، وفيه شرح لبراعته في التلاعب بالتفسيرات القانونية، ازددت اقتناعاً بفكرتي. وفي خلال ذلك لم يجدّ من التطورات سوى النبأ القائل بسرقة النسخة الأصلية للمسرحية. وهكذا قررت الذهاب إلى أولد بريدج شخصياً للاشتراك في المعمعة.

وقد اتصلت أثناء تحرياتي ببروس رانسوم، فعلمت منه أنه استطاع أن يحتفظ من نسخة المسرحية الأصلية ببعض صفحات تكشف عن أشياء مروعة، مع ورق تغليف عليه اسم مشرب الشاي في أولد بريدج، مما استنتج منه رانسوم أن بولاي في أولد بريدج فعلاً. وأخبرني رانسوم أنه قرر القيام بعمل حاسم بعد أن تعاقبت الأيام دون أن يصل إلى النتيجة المنشودة، وخصوصاً أن أهل القرية قد بدؤوا يسيئون إليه، وكان من رأيه أن يكتب إلى ملدريد يدعوها إلى الحضور كي تتعرف على بولاي.

وأصارحكم أني لم أخبره بأنه كان في وسعي التعرف على بولاي دون حاجة إلى هذا الإجراء من جانبه، إيماناً مني بأن

ملدريد شريكة بولاي لا يمكن أن توقع قط بهذا المخلوق. لكني أخطأت في هذا التقدير، إذ لم أكن أتصور أن حقد ملدريد عليه يدفعها إلى التنكر له على تلك الصورة، وهكذا نسيت أمر الفتاة حتى فات الأوان لإصلاح هذه الغلطة!

وقبل أن يتغلب العجوز على شعور الأسف الذي كان يخالط نبرات صوته وهو يقرر هذا الكلام، انبعثت من أرض الغرفة دقتان كان لهما رنين واضح مسموع.

* * *

الفصل التاسع عشر

لم يتمالك دنيس أن وثب من مكانه لدى سماعه صوت الدقتين، لكن العجوز قال بصوت جامد النبرات: هذا هو المطلوب! لقد حان الوقت لكي نهبط إلى القبو.

- لماذا؟

- ربما لغير سبب. ربما لا ينتظرنا سوى الفشل، ولكن من ناحية أخرى...

وركز نظراته في صاحبيه وأردف بصرامة: سنقف حيث وقفنا في المرة السابقة، خارج باب القبو، وليس لأحد منكما أن يتحرك أو يتكلم مهما حدث، مفهوم؟

فجاء الجواب بهز الرؤوس. وحين تكررت الدقتان بإلحاح قال وهو لدى الباب: بقي شيء واحد لم أذكره من قبل، وهو أن صديقكم رانسوم هو شخص آخر خلاف الشخص المعروف لكم.

وفتح الباب وخرج إلى الممشى المعتم، ولم يقف حتى وصل إلى مدخل القبو. وفي هذه المرة شاهدوا ضوءاً خافتاً ينبعث

من كبرى غرفتي القبو وسمعوا أصواتاً تتردد في الداخل. كان أحدها صوت بروس رانسوم والثاني صوت دافني هربرت الذي وصل إلى أسماعهم واضحاً تشوبه رنة الألم والابتهال وهي تقول: كفى، كفى بالله!

فرد عليها رانسوم قائلاً: انظري إليها يا دافني، هذه هي ملدريد ليونز. دعيني أرفع الشال عن رأسها لكي تبصري الرمل يملأ عينيها. إن هذا ما يصيب النساء اللاتي...

- كفى، كفى بالله!

واقترب الثلاثة بحذر حتى وصلوا إلى مدخل الغرفة الكبرى. كان يضيئها مصباح زيتي قائم فوق صندوق خشبي، وشاهدوا في ضوئه الشاحب رانسوم واقفاً إلى ناحية من الجثة المعلقة وظهره إلى الباب، وفي الناحية الأخرى وقفت دافني هربرت.

ومرة أخرى انبعث صوت الاثنين في وقت واحد:

- تعالي هنا.

- لا.

فتقدم رانسوم خطوة قابلتها دافني بالتراجع خطوة مثلها، وفي تلك اللحظة فقط شعر كلاهما بشيء جعله يقف مكانه ويستدير إلى ناحية الباب المقابل المؤدي إلى الغرفة الثانية، وعلى عتبة الباب وقف جوناتان هربرت ممتقع الوجه ولكنه يبتسم ارتياحاً. كان ضوء المصباح يسطع على وجهه، وكان واضعاً يديه في جيبي سترته الواقية التي رفع ياقتها، وكانت عيناه تلمعان

تحت القبعة المبتلة وهما تنتقلان من دافني إلى رانسوم، ثم إلى أرجاء الغرفة.

وبكل تؤدة وهدوء خلع سترته الواقية وقبعته وألقى بهما جانباً، ثم تقدم إلى الأمام بحركات سريعة ويده تمتد إلى جيبه الخلفي. فأسرعت دافني إلى ناحيته قائلة: أبي، أبي! يحاولون أن يقولوا لي...

وحدثت المفاجأة المروعة، فقد امتدت ذراع جوناتان بحركة كاسحة مخيفة كمن يريد أن يبعد شيئاً عن طريقه وهوت على ذقن الفتاة بضربة قوية ألقت بها على الأرض.

ثم تقدم خطوة أخرى إلى الأمام وهو يبتسم وقد ركز نظراته في وجه رانسوم، وقال بصوت رنان: أيها المغفل... أنا روجر بولاي!

* * *

الفصل العشرون

على هذه الصورة وقف الرجلان وجهاً لوجه والجثة المعلقة مدلاة. وتكلم بولاي مرة أخرى بزهو واعتداد: هل سمعت ما قلت؟ أنا روجر بولاي!

فرد رانسوم دون أن يتحرك من مكانه: أعرف هذا، وقد عرفته منذ الليلة الماضية.

فقال بولاي وهو يضحك باحتقار: أحقاً؟ لا بأس، لنواجه الموقف يا رانسوم، إن كلينا يكره الآخر منذ اللحظة الأولى، وبيننا أمور لا بد أن نصفيها، الآن وفي هذا المكان!

فقال رانسوم في حقد دفين وهو يتقدم خطوة: الآن وفي هذا المكان. هل تعرف من أكون؟

- لا أعرف، ولا يهمني أن أعرف.

- لا أظنك تتذكر امرأة تدعى إليزابيث موسنار. هي إحدى ضحاياك، ولو قرأت كلمة «موسنار» معكوسة لكانت «رانسوم». إن موسنار هو اسمي الحقيقي، وتلك الفتاة المنكودة شقيقتي، والله يغفر لي إذ كنت منصرفاً عنها متفرغاً لبناء مستقبلي الفني.

ورفع يده إلى جبينه في أسى ظاهر، وبولاي يتطلع إليه مبهوراً وإن لم تفارق الابتسامة شفتيه. وأخيراً تابع رانسوم قائلاً: عندما أرسلت إليّ مسرحيتك عرفت شخصيتك في الحال، عرفتها من التفصيلات الخاصة بالجريمة التالية... جريمة قتل شقيقتي.

- آه!

- ولهذا قررت اقتناصك، وكانت فكرتي الأولى هي الحضور إلى هنا للبحث والتحري، ولكن زميلتي بيريل أوحت إليّ بفكرة أفضل، وهي أن أنتحل شخصيتك وأضطرك إلى الكشف عن نفسك.

فقال بولاي بأتم هدوء: وهو ما لم تنجح فيه، لا أنت ولا الشرطة!

- أيها المغرور! ألم تعرف أن السير هنري مريفال قد حدد شخصيتك منذ البداية؟ لقد سألني مرة كما سأل غيري: ماذا يفعل بولاي بعد أن كف عن قتل النساء منذ أحد عشر عاماً؟ ولم أفهم هذا السؤال وقتها، ولكني أفهمه الآن جيداً بعد أن شرح لي الموقف كله في الليلة الماضية. فأنت بعد أن شبعت من قتل النساء وأخذت الشرطة في البحث عنك تبينت -أخيراً، وبعد خوفك من الماضي- أنه لا لزوم لقتل امرأة ما للحصول على مالها، لأن أية امرأة تقدم لك مالها طائعة مختارة لو عرفت السبيل إليها. وهكذا غيرت خطتك واتجهت إلى البحث عن الزواج الذي يدر عليك المال الوفير. فكان زواجك بالسيدة هربرت، الأرملة الغنية ذات الضياع والأراضي الواسعة.

وكانت الغلطة التي ارتكبتها والتي بدأت تثير الشبهات في حقيقتك ليلة وصول السير هنري مريفال إلى أولد بريدج، ففي بار الإوزة الذهبية قال تشيترنج الثرثار تلك الليلة إنه قرأ في الصحف نبأ قيام بروس رانسوم بتمثيل مسرحية عن بولاي، وعندها قلت أنت بالحرف الواحد: "لا يمكن أن يمثل المسرحية إذا لم تكن نسختها عنده".

وبإمكاني أن أشهد (أنا ودنيس فوستر) أن سرقة أصل هذه المسرحية من مكتب النسخ كانت سراً أقسم الجميع أن يحافظوا عليه، ولكن بولاي كان يعلم بوجود أصل المسرحية في مكتب النسخ لأنني كتبت إلى المؤلف باحتمال إجراء تعديلات في المسرحية وأني قد أرسلت الأصل إلى مكتب إثيل ويتمان لنسخ عدة صور منها. وقد فزع بولاي عندما عرف هذه الحقيقة، فسطا على مكتب النسخ وظن أنه ظفر بأصل المسرحية كله في ذلك الحين.

وأخذ كلاهما يتقدم في هدوء، وكان ضوء المصباح يلقي ظلالهما متراقصة مشوهة على الجدران، بينما استطرد رانسوم يقول: لم أعرف هذه الحقائق وقتها. لقد فاتني أن أعرف الكثير وأنا هنا منبوذ من الجميع بسبب الدور الذي كنت أمثله، بل لم أعرف وقتها -مثلاً- أن دافني ليست ابنتك الحقيقية وإنما هي ابنة السيدة هربرت من زوجها السابق. وهكذا جعلت أروض نفسي على الصبر، وطأطأت رأسي لك حتى حين لطمتني على وجهي في تلك المناسبة.

- لقد كانت مناسبة سعيدة مبهجة لي.

- لا بأس، والطريف في الموضوع أنني -في الوقت الذي كنت فيه أحاول الإيقاع بك- كان الناس يظنون أنك تعمل على الإيقاع بي!

- ذلك أن عندي المقدرة لتوجيه الأمور على الوجه الذي يحلو لي.

- وهل كانت عندك هذه المقدرة عندما سرقت دافني -مثلاً- آلتك الكاتبة الصغيرة وأعارتها لي، كما أخبرت أصدقائي بذلك في الليلة الماضية؟ وهل عرفت أن نفس الآلة الكاتبة التي كتبت عليها المسرحية ظلت في غرفتي طول الوقت؟

لم يبدر جواب من بولاي، فأردف رانسوم يقول: وهل كان من مظاهر مقدرتك وتدبيرك أن تقع دافني في حبي؟

وكان لهذا الكلام تأثيره في تصلب ملامح الرجل وزوال الابتسامة من وجهه، بينما تابع رانسوم يقول: في الواقع أنا لم أفهم في أول الأمر لماذا كنت تهتم بدافني أكثر من الاهتمام الأبوي العادي، ولماذا أحدث ظهوري تأثيراً سيئاً عندك. لقد تزوجت والدة دافني منذ عشرة أعوام، وبدأت الفتاة تترعرع حتى صارت إلى ما هي عليه الآن، والحقيقة أنك تريدها لنفسك ولم تستطع أن تتخلص من طباعك القديمة. لكنك لا تستطيع أن تمسها وإلاّ عرضت حياتك المترفة الموسرة إلى الضياع، أما الواقع فأنت تريدها بكل ما في هذه الكلمة من معنى، ولو ظفرت بها لما ترددت بعد ذلك في قتلها كما فعلت مع أندريه كوبز.

- صدقت في هذا التصور.

قال بولاي هذا ومد يده إلى جيبه الخلفي، ولما أخرجها كانت بها مطواة كبيرة ضغط على زر بها فانفتح نصلها حاداً. وقال على الأثر: ما رأيك في تصفية حسابنا؟

- تقدم.

- ألا تمانع في المطواة؟

- تقدم حالاً!

قالها رانسوم وهو يضطرم غضباً، فأخذ بولاي يتقدم إلى ناحيته ببطء وفي أتم حذر، حتى لم يتمالك دنيس أن وثب إلى الأمام لإنقاذ صديقه لولا أن طوقه السير هنري بساعده ليمنعه من الحركة. كما تعلقت بيريل بذراعه من الناحية الأخرى.

وفي خلال ذلك سمعوا صوت بولاي يقول: ما زال أمامنا بعض الوقت لتصفية الحساب، استمر في حديثك فإنه يهمني أن أسمع رأيك في القضية كلها.

- حسناً، لقد عرفتَ من أول الأمر أنني بروس رانسوم وقدرتَ أنني قد جئت لاقتناص بولاي، لكنك لم تشعر بالخطر الحقيقي من ناحيتي إلاّ في الليلة الماضية، عندما جاءتني دافني في غرفتي بالفندق عقب عودتكم من لندن ولحقت أنت بها في سيارتها. لقد قيل لك في هذه المناسبة أن انتحالي شخصية بولاي ما هو إلاّ تمثيل واطمأننت إلى أني لا أرتاب في حقيقتك. وبلغ من ارتياحك وطمأنينتك أنك ناولتني لكمة على وجهي. لكن لم تمض لحظات حتى تغير كل شيء، بعد أن رأيت آلتك الكاتبة عندي ولمحت درج مكتبي مفتوحاً وفيه صفحات من نسخة

المسرحية الأصلية، والواقع أن هذا المشهد قد جعلك تجمد في مكانك إلى حد أن دافني كلمتك مرتين قبل أن تفيق من الصدمة.

- يا لقوة ملاحظتك!

- الحقيقة أني لم أفطن إلى دلالة الأمر إلاّ بعد أن نبهني السير هنري، فلم أكن قد كتبت شيئاً على تلك الآلة حتى ذلك الوقت، ولكن الأمر لم يكلفني بعد ذلك سوى كتابة بضعة أسطر عليها، وبمقارنتها بالصفحات التي في الدرج اتضح لي -بما لا يقبل الشك- من هو مؤلف المسرحية. إن هذا الاكتشاف الخطير الذي تجلى لك ولي قد ملأ نفسك غماً، لكنك كنت مغموماً بما فيه الكفاية، ففي طريقك إلى فندق ليذربوت للّحاق بابنتك قتلت ملدريد ليونز!

- احترس!

انبعث هذا التحذيرْ مدوياً من أحد الحاضرين، وفي نفس اللحظة تنبه رانسوم في الوقت الذي انقض عليه بولاي. وكانت طعنة نجلاء من المطواة الكبيرة الحادة تلك التي سددها بولاي إلى رانسوم فجأة، ولولا أن حاد عنها في آخر لحظة لمزقت أحشاءه، ولكن لم تنج منها ملابسه.

وفي نفس اللحظة وجه رانسوم بيسراه لكمة عنيفة إلى خصمه أصابته بين عينيه وجعلته يترنح، وتراجع كلاهما وهو يلهث.

وضحك بولاي وقال لغريمه: كنت تقول شيئاً عن ملدريد ليونز؟

- هذه جثة ملدريد ليونز، إنها كانت أداة بين يديك، وقد قتلتها. والشرطة تعرف كل شيء عن تلك الجريمة المفتعلة في توركاي.

فجمد بولاي قائلاً: كذب!

- أحقاً؟ إذن كيف تسنى لي أن أعرف كل هذا؟

- إن ملدريد ليونز...

- قد قرأت المسرحية أيضاً، وقد زارتني في مسرح غرناطة واعترفت بأنها تعرفك. وأمس جاءت إلى هنا لمقابلتي، وكان مجيئها في نفس القطار الذي أقل دنيس فوستر وبيريل وست، لكنها تخلفت في محطة سكريست كي لا يراها أحد. ولكن حدث أن أصدقائي قابلوا في طريقهم هنا السير هنري مريفال والمفتش ماسترز ومدرب الغولف ماكفرجوس ووقفوا يتحدثون طويلاً، وكان وقوفهم في طريق ملدريد مما اضطرها إلى طريق مختصر يمر بملعب الغولف كي يتسنى لها الوصول إلى فندق ليذربوت دون أن يراها أحد. وفي خلال ذلك ركبت أنت سيارة دافني، باعترافك، للحاق بابنتك عند حضورها إليّ، فشاهدت ملدريد تجتاز ملعب الغولف. وكان الوقت مساء وأنتما وحدكما في تلك المنطقة، فنزلت من السيارة وكمنت لها وفاجأتها، ولكن أين؟

الواقع أنني أخطأت عندما ظننت أول الأمر أنك قد فاجأتها عند الشاطئ، فالشاطئ منطقة ذات حصى ورمال خشنة، وهذه الرمال تختلف عن الرمل الأبيض الناعم الذي وجدته على وجهها كما ظهر في منديلي عندما مسحت به وجه الجثة، وأين يوجد هذا

الرمل الأبيض الناعم؟ إنه يوجد في كثبان الرمل التي يتكون منها امتداد ملعب الغولف. وبعد ذلك وضعتَ الجثة في مقعد السيارة الخلفي وذهبتَ بها إلى فندق ليذربوت، وهناك دسست الجثة عليّ أنا من دون الناس جميعاً، فقد كنت أسبح في البحر وكنت تستطيع أن تراني من الشاطئ، لكنك ارتكبت غلطة جسيمة.

- غلطة جسيمة؟

- كان وجه الجثة مكسواً بالرمل المبلل، ولكني مسحته بمنديلي وبوسعي أن أقسم، أنا وزميلي دنيس، أن وجه القتيلة كان نظيفاً تماماً عندما وضعنا الجثة في نفس السيارة التي جاءت بها إلى الفندق. وقد لاحظت، كما لاحظ دنيس وقرر ذلك العجوز فيما بعد، وجود طبقة من الرمل على جلد المقعد الأحمر في السيارة في موضع جسد ملدريد وجبينها حيث وضعتَ الجثة. ولا يمكن أن ينطبع هذا الأثر عندما وضعنا نحن الجثة في السيارة، وإنما انطبع عندما قصدت أنت بالسيارة إلى الفندق والجثة بداخلها.

وفي تلك اللحظة لمح دنيس بزاوية عينه دافني تتحرك في مكانها على الأرض الموحلة وتحاول النهوض دون أن يفطن إليها الغريمان، وما لبث رانسوم أن قال لعدوه: أنت قتلتهن جميعاً، أليس كذلك؟

- قتلت من؟

- شقيقتي وباقي الضحايا، أم أنك خائف من الاعتراف بهذا؟

- خائف منك؟ نعم، لقد قتلتهن. وما قيمة هذا الاعتراف؟ لن تستطيعوا إثبات شيء لأنكم لا تعرفون ماذا فعلت بالجثث.

فصاح رانسوم: أحقاً؟ أنت مخطئ، إن الجثث أخفيت في...

ولم يتم رانسوم كلامه، لأنه ألقى على وجه بولاي الشال الذي كان على رأس الجثة المعلقة، وكان يخفيه خلف ظهره. ولكن السفاح حاد عن طريق الشال وسدد بالمطواة ضربة عنيفة إلى جنب رانسوم الذي أفسدها بلكمة بارعة من يده أصابت بولاي في ذراعه وأطاشت الطعنة.

وعند هذا الحد تقدم السير هنري مريفال إلى وسط الغرفة بعد أن أشار إلى دنيس أن يتبعه، وقال موجهاً حديثه إلى بولاي: كفى يا بني، دع هذه المطواة جانباً وإلاّ هجمنا عليك جميعاً.

فاحتج رانسوم قائلاً إنه لا بد له من تسوية حسابه مع غريمه دون تدخل أحد. وفي هذه اللحظة حانت من بولاي التفاتة إلى ناحية دافني ورآها واقفة مستندة إلى الجدار، فقال لها في رقة: آه يا عزيزتي! سنترك هذا المكان ونذهب إلى أماكن أخرى ننعم فيها بالسعادة، ستأتين معي طبعاً؟

وهنا صرخ رانسوم قائلاً: تأتي معك! كيف تصنع شيئاً كهذا وهي التي اشتركت في إعداد هذا الشرك الذي نصبته الشرطة لك؟

وهنا صاح السير هنري قائلاً: صه!

لكن الضرر كان قد وقع فعلاً، إذ صرخ بولاي: ماذا تقول؟

فقال رانسوم وقد أعماه الغضب عن كل شيء: اسمع يا هذا، إن دافني اشتركت معي اشتراكاً فعلياً كاملاً في إعداد هذه الخطة، ولم تكن تلك الرسالة التي بعثت بها إليك تخبرك بهروبها معي إلاّ جزءاً من الخطة التي دبرت لاستدراجك إلى هنا، هل فهمت الآن؟

- فهمت.

ولمع نصل المطواة لآخر مرة، فإنه لم يكد يتم كلمته حتى امتدت ذراع من مدخل الغرفة الثانية خلفه وطبقت على عنقه، وامتدت يد أخرى خبيرة تلوي معصمه خلف ظهره حتى انبعث منه صرخة ألم وسقطت المطواة من يده على الأرض.

وجذبه إلى الخلف اثنان من رجال الشرطة، وظهر في إثرهما المفتش ماسترز مع ضابط شرطة بالزي الرسمي. وقال المفتش وهو يتحاشى النظر إلى العجوز: أخشى أن نكون تأخرنا قليلاً؟

فقال العجوز بلهجة لاذعة: بل جئت مبكراً قبل الأوان.

فلم يتمالك المفتش أن صاح قائلاً: كفى تأنيباً يا سيدي! لقد تأخرنا بسبب العاصفة وكثرة الوحول في الطريق. وبهذه المناسبة أخبرك أننا تلقينا إشارة تليفونية من ضاحية كروبورو.

- كروبورو؟ تعني بخصوص أنجيلا فيبس، أولى الضحايا؟

- نعم يا سيدي، وسيعهد إلى الطبيب الشرعي بفحص ما تبقى من الجثة.

- هل وجدت في المكان الذي أخبرتكم عنه؟

- نعم.

فتنفس العجوز الصعداء وشاعت في محياه ابتسامة ماكرة، ثم أمسك بساعد دنيس وقال له برقة: هل تذكر -يا بني- عندما كنا في غرفة رانسوم بعد ظهر اليوم، أين كان (روب) رانسوم موضوعاً؟

- أين كان موضوعاً؟ لقد كان ملقى فوق المقعد الصغير حيث ألقاه رانسوم.

- وهل تتذكر أنه كان يبرز من جيب (الروب) شيء واضح يمكن للناظر أن يراه بسهولة؟

فسبقته بيريل إلى الجواب، إذ هتفت قائلة: المنديل، منديل بروس! كان ملوثاً برمل أبيض ناعم.

فأومأ العجوز برأسه وتنفس من أعماقه مرة أخرى، ثم راح يقول: هذا صحيح. إن ماكفرجوس كان قد فرغ لتوه من محاضرة طويلة قال فيها إنه لا يوجد مكان محتمل يمكن فيه إخفاء جثة في أرض ملعب غولف دون أن تتخلف آثار تدل على حدوث حفر أو تنقيب أو دوس بالأقدام، والواقع أن كلمة «دوس بالأقدام» كان هي الحاسمة، لأن مثل هذا المكان موجود فعلاً. ذلك أنه يمكن دفن جثة في الأرض لمسافة ثلاثة أو أربعة أقدام تحت طبقة الرمل السميكة في كثبان الرمل التي يتكون منها امتداد ملعب الغولف، وبوسع آلاف من لاعبي الغولف أن يدوسوا طبقة الرمل هذه مراراً وتكراراً دون أن يبدو أن عبثاً قد وقع في طبقة الرمل السطحية. وهكذا لا يعرف أحد أن جثة ما قد أخفيت تحت تلك الطبقة بعد الدوس المستمر عليها.

* * *

الخاتمة

صفت السماء بعد هدوء العاصفة، وتخلف ثلاثة أشخاص في الغرفة الأرضية بمبنى التدريب العسكري السابق (وقد شغلوا بأفكارهم الخاصة) قبل العودة إلى الفندق.

كان بروس ودنيس ساهمَين واجمين، أما بيريل فكانت مرحة منتعشة، ولم تلبث أن قالت لبروس: يا لك من أحمق يا بروس! لقد كان يمكن أن تلقى حتفك في هذه الملحمة المروعة.

- صدقت يا بيريل. أنا معك في هذا، هل يمكن أن أستأذنك في قبلة احتفاء بالنجاة؟

وعند ذلك رأى دنيس أن ينسحب مجاملة وتقديراً للموقف، فصاح به رانسوم يستوقفه وأردف قائلاً: وعلى فكرة، أظنك لم تفهم السبب الذي دعاني إلى نقل تلك الجثة في الليلة الماضية والعمل على إخفائها؟

- هذا صحيح، وعسى أن توضح لي الأمر.

- أنا في شدة الأسف والخجل من سلوكي حيالك في

تلك المناسبة، لكني سأصارحكما الآن بكل شيء لتفهما الموقف على حقيقته بعد أن جدّت فيه عوامل لم تكن منتظرة. والواقع أنني كنت في غاية الاضطراب، ولم أكن على علم بمن هو بولاي حتى ذلك الحين. وقد صممت أن أبرهن لدافني ووالدها (والدها، تصورا!) إن بإمكاني اقتناص بولاي الحقيقي، وذلك بعد أن فشلت خطتي الأولى وتعين عليّ الكشف عن شخصية بولاي في مدى أربع وعشرين ساعة، ولم يكن هذا ممكناً إلاّ بحيلة أقوم بها.

وهكذا فكرت في سرقة سيارة دافني بمساعدة دنيس والمجيء بها إلى هنا، وكان من شأن هذه الخطة أن ينتشر خبر سرقة السيارة وأننا قد ذهبنا بها في اتجاه مبنى التدريب العسكري السابق. أما تعليل ذلك فلن يفهمه سوى القاتل، ذلك أن القاتل قد ورطني بوضع الجثة في غرفتي، وسينزعج إذا لم يكتشف وجود الجثة عندي ويحاول أن يعرف ماذا فعلت بها. إن المنطقة مترامية، ولكن فيها مبنى التدريب العسكري السابق. ولن يخطر ببال أحد، سوى القاتل، أن يربط بين الجثة وبين تمثال آدمي معلق للتدريب أو أن يفطن إلى وجود جثة، حتى ولو كان يبحث عنها. ولكن القاتل يجيء إلى هنا رأساً وأكون أنا في انتظاره. ولما وجدت أن دنيس قد فوجئ واضطر إلى الابتعاد عن السيارة (بعد أن استدعاه الكابتن رينويك إلى داخل الفندق) لم يكن أمامي سوى الهرب بالسيارة وحدي. ولكني ارتكبت غلطة كبيرة بذهابي إلى مثل هذا المكان والانتظار مدة غير محددة دون أن يكون معي طعام أو سجائر، وهكذا اضطررت أن أعود إلى

الفندق (سيراً على قدمي هذه المرة)، وتصادف أن كان في الفندق حفلة ساهرة، فلم يفطن إليّ أحد عندما تسللت إلى غرفتي عن طريق السلم الخارجي، فوجدتها في شر حال من الفوضى.

وهنا أومأ دنيس برأسه وتولى الإيضاح قائلاً: إن جوناتان هربرت (ولنطلق عليه هذا الاسم) قد أدرك أنه لا بد له من التخلص من صفحات نسخة المسرحية الأصلية التي كانت في درج مكتبك ومن آلته الكاتبة الموجودة لديك أيضاً. ولم يكن بوسعه استرداد الآلة الكاتبة وإلاّ للفت إليه الأنظار، وهكذا حطمها عن آخرها ببلطة. وكان عليه أن يحطم ويتلف باقي أثاث الغرفة لإخفاء حقيقة غرضه.

فقال رانسوم وهو يضغط على رأسه بيديه استجماعاً لأفكاره: هل تذكر يا دنيس تلك الكلمة التي كتبتها لك على الآلة الكاتبة قبيل هربي بالسيارة وقلت لك فيها: "آسف، لا يمكنني الانتظار" وشبكتها في أعلى الآلة الكاتبة لكي تلفت نظرك؟

- نعم، أذكرها جيداً.

- الحقيقة أني لم ألاحظ شيئاً وقتها بسبب شدة انفعالي، وكانت تلك المناسبة أول مرة استعملت فيها تلك الآلة الكاتبة. ولكن حينما عدت إلى الغرفة في المرة الأخيرة لاحظت بين الأوراق المتناثرة على الأرض، بعد تحطيم أثاث الغرفة، وجود كلمتي المكتوبة على الآلة وإلى جانبها صفحة من نسخة المسرحية الأصلية.

فقالت بيريل: لكن كيف يمكن وجود هذه الصفحة حيث

رأيتها؟ إن هربرت، أو بولاي، لم يأخذ تلك الصفحات من المسرحية لأنها لم تكن موجودة في الغرفة عندما حطم الأثاث، فقد أخذها السير هنري قبل ذلك.

فتولى دنيس الجواب قائلاً: لكنه لم يأخذها كلها. ألا تذكرين ما قاله لنا السير هنري هذا الصباح؟ لقد أخبرنا إن إحدى الصفحات قد سقطت منه على الأرض سهواً، ثم بعثر الهواء الأوراق على الأرض. ولما جاء هربرت ووجد درج المكتب خالياً ظن أن باقي الأوراق المتناثرة كلها رسائل خاصة. والآن، ماذا كنت تقول يا بروس؟

- قلت إني وجدت الورقتين على الأرض جنباً لجنب. ولم أكن بحاجة إلى خبرة فنية لكي أكتشف الحقيقة المروعة، فلقد قرأت النسخة الأصلية للمسرحية التي كتبها بولاي مراراً وتكراراً حتى أصبحت أعرف خصائص حروف الآلة الكاتبة التي كتبت عليها المسرحية معرفة تامة؛ فمثلاً حرف الواو يعلو غيره من الحروف بين السطور، وحرف الألف مطموس بصورة مميزة، إلى آخر هذه الخصائص البارزة. وكانت مقارنة بسيطة بين حروف الورقتين كافية كي أوقن أن المسرحية قد كُتبت على تلك الآلة.

وأصارحكم أني لم أصدق وقتها أن هربرت يمكن أن يكون هو بولاي، ولكن الأفكار والصور تزاحمت في ذهني، خاصة مسلكه وتصرفاته حيال دافني. وهكذا خرجت من الغرفة حائراً واتصلت تليفونياً بالسير هنري في فندق الإوز الذهبي في أولد بريدج، فطلب إليّ أن أوافيه في الفندق حالاً. وفي غرفة

العجوز في الفندق، وبحضور المفتش ماسترز، شرح لي السير هنري القصة كاملة.

وصمت رانسوم فترة وهو في إعياء ظاهر، وأخيراً استطرد يقول: وفي نفس الغرفة وضعنا ثلاثتنا خطة اقتناص جوناثان هربرت. وقد استطاع العجوز قبل ذلك بساعات (حينما كان في غرفتي، وبحضورك أنت يا دنيس) استطاع أن يقارن خط الآلة الكاتبة بخط نسخة المسرحية الأصلية، وقد أخبرته أنت أن هربرت كان في نفس الغرفة، ورأى درج المكتب مفتوحاً وبه بعض صفحات تلك النسخة، فأدرك السير هنري على الفور حقيقة هذا المخلوق وأيقن أنه سفاح خطير له مآرب بخصوص دافني. ومما له دلالته القوية في هذا الصدد أن تشيترنج الثرثار قرر أن هربرت قد استعار منه كتاب «فن تأليف المسرحيات». وهكذا كان لا بد من العمل على الفور.

وقد أعربت عن استعدادي لاستدراج هربرت وحمله على فضح حقيقة شخصيته بنفسه، ولكن هذا كان يقتضي اتخاذ دافني بمثابة طعم. وكان ذلك أشق جزء في الخطة كلها، ولهذا السبب تسلقت نافذة غرفة دافني في صميم الليل. والواقع أنني قد خفت أن تصرخ دافني من المفاجأة وتجمع نزلاء الفندق حولنا، لكني استطعت إقناعها بارتداء ملابسها والتسلل من الباب الخلفي لمقابلة المفتش ماسترز والسير هنري.

وأخلد رانسوم إلى الصمت مرة أخرى، وبعد لحظة قال: لم يبق بعد ذلك ما يقال سوى أن بيريل كادت تفسد علينا الخطة.

- أنا؟ وكيف ذلك؟!

- عندما حاولت إرسال هربرت إلى لندن في أثري بسبب موعد الإذاعة الذي كنت مرتبطاً به، ولا شك أنه لم يكن ينوي قط أن يصحب زوجته معه في تلك الرحلة. ومن حسن الحظ أنه لم تكن توجد قطارات إلى لندن قبل الساعة الثالثة بعد الظهر. والواقع أننا تركنا له فسحة من الوقت كي يزيد اضطرابه ويتخبط في تصرفاته، وقد التقى به باركس مفتش الشرطة المحلي في الشارع (بإيعاز منا) وبينهما معرفة وطيدة، واختصه بسر خطير مؤداه أن الشرطة قد نمى إلى علمها أني أخفيت جثة امرأة في هذا المنزل وأني مختبئ في المنزل مع دافني كي نهرب نهائياً عند حلول الظلام. واختتم باركس معلوماته السرية الخطيرة قائلاً: إن رجال الشرطة سيداهمون المنزل قبيل هذا الموعد.

وكان من المحقق، بعد هذه البيانات الأكيدة، أن يسبق بولاي الشرطة في الحضور إلى هنا. وقد اتفقنا على أن نكمن، أنا ودافني، في نقطة معينة في الطريق قرب المنزل نراقب منها حضوره، ومتى رأيناه قادماً كان علينا أن نتسلل إلى داخل المنزل عن طريق سلم القبو الخارجي، ثم نعطي الإشارة المتفق عليها، وهي أن ندق سقف مخزن الفحم في القبو بيد مكنسة دقتين متواليتين، ثم نقوم نحن الاثنين بتمثيلية صغيرة ذراً للرماد في عينيه.

واستوى بروس قائماً وقال: الحقيقة أنه لم يكن بوسعنا أن نشرككما في هذه الخطة بسبب شدة انفعالكما، وإلاّ استهدفنا للفشل الذريع. اسمعي يا بيريل، الواقع أنني عندما تسلقت إلى نافذة غرفتك قبل طلوع النهار...

فقاطعته وهي تتقدم نحوه مادة يديها: إن ما فات أصبح لا يهمني في شيء.

ثم التفتت إلى دنيس قائلة: إلى أين أنت ذاهب يا دنيس؟

- إلى السيارات التي تنتظر في الخارج، سأراكما فيما بعد.

فقالت بيريل وقد لمعت عيناها بصورة غريبة: أين دافني؟

فأجابها: لقد ذهبت مع العجوز. كانت الصدمة شديدة على أعصابها ولا شك. سأراكما فيما بعد.

وخرج دون أن يرد على نداء بيريل، وقد انتابه ألم نفساني عندما فكر في أنه سيعود غداً إلى استئناف حياة العزلة من جديد. على أنه لم يكد يسير بضع خطوات خارج المنزل حتى سمع من يناديه، وإذا دافني تسير بجانبه وعيناها تنظران إلى الأرض.

والحق أن دنيس بذل جهداً خارقاً حتى لا ينتفض من تأثير المفاجأة التي جعلت قلبه يثب بين جنبيه، وسار بجانبها وهو ينظر أمامه. فقالت: أنا لم أحزن بعد أن قبضوا عليه، كما ترى.

- نعم، هذا واضح.

- بل أصارحك أنني قد تلقيت ما حدث بارتياح، والحقيقة أنني كنت دائماً متوجسة منه وإن لم أكن أعرف السبب، فكانت النتيجة باعثة على ارتياحي.

وسارا برهة صامتين، وأخيراً قالت دافني وهي ما زالت تنظر إلى الأرض: إن السير هنري قد طلب إليّ أن أقول لك هذا

لكي تعرف شعوري على حقيقته. إنه ينتظرنا هناك في السيارة كي يوصلنا نحن الاثنين، وهو...

لكن دنيس لم ينتظر كلاماً آخر، بل طوقها بساعده وشرع يصب في أذنها تلك الكلمات الرقيقة التي كتمها في صدره زمناً ليس باليسير.

* * *


حصريا في مجموعة
اجاثا كريستي